روايات عبير الجديدة

جينجر شامبرز

ابتسامة في عينيك

www.elromancia.com

مرمورية

www.elromancia.com

ابتسامة في عينيك

جينجر شامبرز

بريانا مشهورة: رواياتها تحرك مشاعر كل النساء الأميركيات. مليئة بالحيوية، مليئة بالمداعبة، كنّ دائماً واثقات من كتاباتها وفرحين بها.

لكن في احد الأيام بدالاس، قابلت ريدر كانترل... حيويتها اختفت. لماذا لا تجد اي شيء تجاهه مضحك كان ام مبكٍ؟.

الحياة أصبحت صعبة، عندما قرأت بريانا ما كتبه عنها ريدر. هل سيصبح احد الباسلين الذين تكتب عنهم؟.

- ١ -

«اعبد صنعتكم».

«وابطالكم، انهم فعلاً مذهلين!».

«فكرة جيدة، ان تضعوا قصتكم في اطار اسطوري! هل هذا يتطلب منك الكثير من الابحاث؟».

اخيراً، بريانا سانت كلير، كرست عملها الأخير بمكتبة في دالاس. حازت على اندهاش كبير من قرائها، سد عليها النجاح التي حصلت عليه عادة.

منذ ساعتين، اشتد الناس من حولها، اسئلة ثقيلة، تفسيرات ثنائية، نموذجية، متجهة للتوقيع. بريانا انجزت من كل قلبها، ترد بلطف على كل واحد، بابتسامة رغم تعبها. الجميع يذهبن راضين من ثرثرة الكلام للحظة مع كتابهم المفضلين.

رمت نظرة صغيرة نحو الشارع التي تراه من خلال الزجاج الدخاني، بدى لها انها تمطر.

حست من داخلها بانزعاج. كالعادة، لم تحضر المظلة... حتماً سترتجف حتى عظامها حتى قبل ان تطفىء سيارتها التي كانت تمدحها صباحاً!.

منذ ثلاثة اسابيع خرجت، كانت تعبة من المطارات، من الاوتيلات.

احست فجأة بأنها بحاجة لبعض الحرية، وعزمت ان تعود الى سان انطونيو نشأت في ريف بينسلفاني، غير ان تكساس كانت دائماً تحزنها.

في هذا الشأن اصبح انذار سفرها، لكنها كانت ملحة للذهاب الى سان انطونيو. منذ مدة طويلة لم تقابل احد من كتابها.

«هل انت حقا بريانا سانت كلير؟».

«أجل...». أجابت بابتسامة مهذبة.

صورها علقت على جدران المكتبة في حين انها لم تكن أول مرة التي يطرح عليها سؤال كهذا.

الناس كانوا مذهلين لاكتشاف ان اديبهم الذي كانوا يعتقدون ان له لحية الوجنتين، كانت فتاة جميلة فاتنة...

«هذا غير معقول؟». قالت محادثتها بصوت قوي. «أحب دائما عملكم! ابطالكم مشوقين! ومشاهد الحب...».

«الا تضطربين عندما تعيدين قراءة ماتكتبين؟».

«في بعض الأحيان...». اجابت بريانا بصدق باذلة اقصى جهدها لتحفظ ابتسامتها.

«كنت أكيدة! كيف يمكن ان يكون غير ذلك؟ هناك اضطرابات كثيرة في حب الذات في كتابتكم...».

للأسف لم يكن لديها وقت لتنهي جملتها.

«اتعلمين انك تشبهين شخصياتك النسائية؟ هذه خاصة...».

«انها ضربة حقا!». اجابت.

نفس الوجه بالضبط: فم صغير، عينان خضراوان، شعر اشقر دون ان تلقي اي انتباه واضح لتغير بريانا، استعادة حديثها بصوت رنان الملخص الموجود على الصفحة الأخيرة من الكتاب.

«الأرض بكاملها تبدو وكأنها ملتهبة... الشمس تلمع في ذروتها الرمل كان ملتهباً ودمون ارتفعت حرارة يديه عندما نظر لديان... انها تنحب بضآلة...».

تحركت بريانا بعصبية على اريكتها. اذا اكملت القارئة استعراض النص بهذه النبرة، ستجعلها تبكي بنباح! في حين، كل زبائن المكتبة نظروا تجاههم...

«انه شيء مشوق!». أخيراً علقت معجبتها برعب. «اتكرسين لي عملاً نموذجي؟».

بريانا سارعت في فرحها لهذا العرض، وكانت قد اخذت عهد على نفسها ان لا تكتب «للشخص التي لا تستطيع ان تتحمله الذي لن تلقاه ابداً» بدلاً من ذلك سرت في نفسها عبارتها المعتادة: «رغم كل جاذبيتي». رغم كل شيء ستمتنع من وضع امضائها. بعد ان تشكرها على احترامها، ابتعدت المرأة الشابة خطوة سالبة.

تركتها بريانا تتجه نحو ظهر كرسيها وتنهدت بعمق. بدون شك ان تكون كاتب لرواية عاطفية تكون تجربة في بعض الأحيان!.

فجأة، احست بأنها مراقبة وأدارت رأسها بحيوية. لبضع خطوات منها، لاحظت رجلاً ثبتها بنظرة مسلية

الظاهر، لم يضيع شيئاً من المشاهد التي كانت تجري بين الكاتب وبين جنون محادثيه.

هندامه مذهل وأنيق، شعره اسود، خطواته الاتهامية قوية. لم يكن على قدر من الجمال على نحو ما نعنيه. صدرت منه ارتعاشة ارتسمت بقوة... وعندما يضحك تظهر في زاوية عينيه شبكة لتجاعيد رقيقة. يمكن القول انه كان لا يقاوم.

اقترب من الطاولة وأخذ يتصفح الكتاب.

«لا تقل لي بأنك ايضاً ترغب بالقصص الغرامية!». قالت بصوت مضحك.

ضحك ضحكة قوية، مما جعل بريانا ترتجف.

هذا الرجل سيشعل عدة أحاسيس مما يجعل الصخر يحن!.

بقلق كبير، انتظرته حتى يتكلم. يبدو انه لن يخرج من حنجرته نحيب محزن، او صرير آلة محولة غلط؟ لاحظت كثيراً كهذه الظاهرة: هناك البعض ما ان يفتحوا فمهم حتى تنتهي كل حيويتهم...

«انا ايضاً أحب ان تخصصيني بنسخة...». اخيراً اجابها، صوته كان ذو رنة نغمية، المرأة الشابة اخذت احد كتبها بيد مضطربة قليلا.

«ما اسمك؟». اخذت قلمها وسألته.

«ريدر كانترل...».

بذلت وسعها لتكتم اضطرابها، وكتبت عبارتها المعتادة ثم وقعت.

«زهرة الرمال...». تمتم بقراءة عنوان الكتاب، تفحص المرأة الشقراء الباسلة على الغلاف، ثم أخذ طويلاً

يفرق بينها وبين بريانا.

«انها حقاً تشبهك...». لاحظ بابتسامة مستهزئة.

بارتباك كبير، شعرت الفتاة احمراراً في وجنتيها.

«في الحقيقة...». تمتمت.

«جيد...». صرح لها، اعتقد انني اريد ان اغرق في وايتكم حتى منتصف الليل.

«اتمنى، ان تقيم هذا العمل».

«انا اكيد...».

سكون ساد بينهما، بريانا اخذت توقع النسخ الأخيرة بصمت.

«أخذت الكثير من النجاح»، قال لها.

«أجل، هذه الرواية بصفة خاصة، كانت جيدة».

«الم يكن دائما كذلك»، قال لها بسخرية.

ابتسمت ابتسامة سرور.

«انها الحقيقة. ليس لدي الركن، للفريق الذي احاطني اليوم. يجب ان اثبت نفسي في تقليد رواياتي».

عندما اتيت الى المكتبة، كان الناس ينظرون الي وكأنني آتية من المركبة الفضائية مارس. واعترف، انه ببعض الأحيان كنت حقاً اسعى لأن اكون امرأة غامضة ضائعة فوق الكرة الأرضية في وسط الصحراء!.

«لا احد يملك فكرة، بأن يسرق الاغاثة لجمال هذه المارتينية؟ انه تيهان فعلاً...».

ليس لديها فراغ لترد، لأن القارئة وصلت لتكرس لها نسخة من زهرة الرمال. ريدر كانترل ابتعد، في حين بريانا اجابت باحترام على اسئلة محدثتها.

بعد ان رثت بعض المديحات والشكر، ذهبت هذه

www.elromancia.com

الأخيرة، شدت على الرواية الموجودة بين يديها وكأنها من الدخائر.

بريانا خبأت قلمها في حقيبتها ووقفت.

«انتهيتي؟». قال ريدر مقترباً منها.

«نعم...».

«هل هذا وقت الغداء؟».

قلب الفتاة الشابة نقص بعض الطرقات. كانت تكتب دائماً مشاهد مماثلة في كتبها، لكنها لم تعشهم. ماذا تفعل هذه المرأة الباسلة، في أوضاع كهذه؟ فقط ضحكت، وأجابت.

«لا...».

«اترغبين بمرافقتي؟».

حاولت ان تضبط اعصابها حتى لا تطير من الفرح.

كانت برحابة ترغب ان تتعرف على هذا الشخص! اذا لم تلب رغبته ستموت من الغيظ.

«حسناً!» قالت له بعد حيرة. «بما انني غريبة عن دالاس، سأترك لك حرية اختيار المطعم».

«عظيم... المكان الذي افكر به، قريباً جداً من هنا، ونستطيع ان نذهب اليه مشياً على الأقدام».

في الخارج كان المطر قد خف قليلاً، ونور شمس خفيف يلمع في الشارع. هذا اليوم بدون شك هو فأل حسن بالنسبة لبريانا.

المكان الذي اصطحبها اليه يشبه تخيلاتها تماماً، قوة مرافقها: هادىء، مخلص، دخل قلبها بلطافة...

جلسا على طاولة صغيرة.

«هل انت تعبة»، قال لها بهدوء.

حدق فيها بشدة واضطراب، ثم احيا على شفتيه ابتسامة صغيرة.

«كثيراً...» اجابته وهي ترد له ابتسامته.

«منذ وقت طويل وانت تبحثين في الاعلانات؟».

«منذ أول الشهر».

«هل حقاً اسمك بريانا سانت كلير، ام هو اسم مستعار».

«نعم، انه اسمي الحقيقي...».

نظرا لبعضهما كما لو كان كل واحد منهما يريد طبع لامح الآخر في مخيلته.

تمتمت في سرها، «ارى ان هذا الرجل جميل جداً...».

«بريانا، اين تسكنين؟».

الطريقة التي لفظ بها اسمها! رائعة تساءلت كيف ستصمد امام هذا الرجل القوي المرعب؟.

«في بينسلفاني، قرية قريبة من بيتسبورغ».

«آه، انت اذاً بعيدة جداً عن عملك».

هذا الوقت كان ساحراً، حلم... ابدا، في حياتها لم تعش اي شيء برعشها...

«هل كان احد هناك ينتظرك في بينسلفاني؟». قال لها بهدوء.

«فقط قط!» قالت له مضحكة، «وايضاً لست متأكدة...».

«انه في الفندق عند شقيقتي. اكيد، لقد نسيني...».

رشف من كأسه وعيناه حدقت في مرافقته.

«حقاً، الا يوجد احد غيره. كم عمرك؟». «اثنتي

وعشرون سنة؟».

«رجال بينسلفاني هم عمي ام أغبياء؟».

«لا هذا ولا ذاك». قالت له ببعض الانزعاج. «انا لا اكترث لهم كثيراً...»

«حقاً؟».

«لماذا انت مندهش؟».

«حسنا، اعتقدت ان من يكتب الروايات العاطفية يجب ان يمر بمرحلة... من التجارب».

اضطربت بريانا بعصبية على مقعدها، لأن مخاطبها مس أحاسيسها.

«هل يجب على مؤلفي الروايات البوليسية ان يكونوا مجرمين ام جواسيس ليكتبوا هذا النوع من الروايات؟».

«اتريدين ان تقولي لي بانك انصع بياضاً من الثلج».

اسدلت رأسها، احمرت وجنتاها.

«لا، لكن...».

«حسنا، طمأنتني...».

جلس الاثنين وقتاً طويلاً صامتين. بريانا بدأت تسأل نفسها، هل ارتكبت خطأ في قبولها دعوة الغداء هذه، رغم كل شيء، لم يكن ريدر كانترل مختلفاً عن الباقين...

فجأة، اخذ يدها.

«هل انت حزينة؟ اذا ازعجك كلامي، فأنا اطلب منك المعذرة».

الأمل، دفأ من جديد قلب بريانا. اذا كان هذا الرجل عاش غبياً، خاصة بالنسبة لمؤلفي الروايات العاطفية، يجب ان يكون على الأقل مهذباً ليعتذر.

رفعت اكتافها.

«هذا ليس فظيعاً».

«حسنا! سأكون حزيناً ان اعكر هذه اللحظات الممتعة».

في هذه اللحظة، ظهر عامل الفندق لخدمتهم. في هذه اللحظة، الاثنين اختارا عجلاً مشوياً مصحوباً ببعض الخضار الطازجة.

«منذ متى تؤلفين؟». قال ريدر عندما اصبحا مجدداً لوحدهما.

قالت له فرحة، «منذ زمن. منذ عشر سنوات، كنت اكتب الشعر في بعض الصحف».

«منذ متى اصبحت مؤلفة؟».

«حوالي اربع سنوات، بعد نشر أول كتاب لي».

«كنت اذاً صغيرة جداً...».

«ولا زلت!». قالت له.

ابتسم لها بحنان غريب، ثم تابع بعد سكون:

«كيف تكتشفين ابطالك؟ هل تختارينهم من الأشخاص الذين يحيطون بك؟».

«في بعض الأحيان».

فكرت بريانا لحظة قبل ان تجاوب. يبدو ان صديقها نيته صافية، فهو مهتم لكل ما تفعله ويكاد ان يلمسه بحشريته.

«حسناً، عندما نريد وصف شخص موجود، يجب ان نضع ترتيبات كي لا نجعله معروفاً، نغير اسمه، منظره الخارجي».

«هل اتبعت هذه القاعدة؟».

«أجل... في بعض رواياتي».

«وانا، هل ستكتبين عني يوماً في احد رواياتك؟».

حدقت عيناها بانتباه.

«لم لا؟ استطيع ان اصنع ابطالاً مماثلين».

«في هذه الحالة، احب دور الأشقياء، هذا مهم جداً».

ضحكا بقوة، وبريانا احست بطرقة صغيرة في قلبها، لم تشعر بها تجاه اي شخص آخر. انها تجهل كل شيء عن هذا الرجل: حتى الآن كان يتكلم عنها فقط، احضر لهم العامل الأطباق التي طلبوها، العجل المشوي كان شهياً ولذيذاً، وهنأ كل واحد منهما الآخر لاختياره.

بعد صمت كبير، لاحظ ريدر.

«هل ازعجتك بأسئلتي؟».

«لا، ابداً! كنت فقط افكر هل ستكون عودتي غير ممكنة؟».

«دالاس هي محطتك الأخيرة؟».

«سينتظرونني غداً في سان انطونيو».

اهتز وحدق بنظرة مضطربة.

«هنا اقطن». تمتم وهو يأخذ بيدها.

«آه، حقاً؟». قالت له وقلبها يطرق ضربات محطمة.

«و... هل انت متزوج؟».

كانت ترغب في ان تصعد. لكنها كانت ايضاً تريد ان تعرف.

«انا مطلق».

احست فجأة بنفحة ضغينة في اعتبار هذه المجهولة التي شاركتها يوماً في وجود ريدر كانترل.

يا الهي، ما الذي حدث لها؟ عرفت هذا الرجل منذ بضع ساعات فقط...

«هل انت هنا لتقوم ببعض الأعمال؟». قالت ذلك وهي تبذل كل جهدها لتمتلكه.

«نعم، نوعاً ما».

وقف للحظات ثم اكمل بصوت خفيف:

«ماذا تفعلين بعد ظهر هذا اليوم؟».

«سأكرس وقتي لأكمل كتابتي».

«اين؟».

«في وسط تجاري، للطرف الآخر من المدينة».

«في هذه الحالة، اسمحي لي باصطحابك. لا تشغلي بالك سأعيدك فيما بعد الى الفندق. اين تقطنين؟».

«في الشيراتون».

«عظيم اذاً، حسناً».

«حسناً... تمتمت».

احست بداخلها بأن جوابها خطر ليترجم في معنى أوسع.

يدها الناعمة ويده الرجولية كانتا تلتهبان كشرارة نار... احسب فجأة انها طائشة. «يا الهي، ماذا حدث لي؟ لم اعد اعرف نفسي...» قالت بضيق.

ليس من عادتها ان تتبع أول رجل غريب، ماذا تعلم عن هذا الرجل... لا شيء...

«آه، كف عن طرح الأسئلة الغير مفيدة!». قالت في سرها. «لمرة واحدة في حياتك الا تستطيع ان تكون بسيطاً؟ استمع لرغبتك اكسب هذا الوقت دون ان تحلم بالغد...».

عندما فتح لها ريدر باب السيارة، تورطت دون ان تقول شيئاً، انه (ابليس) اليوم لديها رغبة ان تكون مجنونة ولو

www.elromancia.com

لمرة واحدة في حياتها! في رواياتها، كانت دائماً تضع في مشاهدها، نساء احرار، لا يكترثن بعهودهن اذا، لم لا تتبعهن، وتترك فيما بعد تعبيراً شديد اليأس في قلبها؟.

«هل انت جاهزة؟». قال ريدر قبل ان يقلع.

قالت مسرورة، «على الاطلاق!».

في نهاية بعد الظهر، شكرت صاحبة المكتبة بحرارة.

«متى ستقدمين روايتك المقبلة؟». اعتقد في نهاية حزيران، اليس كذلك؟».

«المفروض، انه التاريخ المدرك. انا على وشك ان انتهي منها...».

«حسناً، سأنقل هذا الخبر لزبائني الذين سلبتهم، لديك كثيراً من المعجبين في قريتنا، آنسة سانت كلير!».

نظرت تجاه ريدر الذي كان يبتعد وينتظر بريانا قرب الباب. تساءلت من هو هذه الرجل الجذاب، واي دور يلعب في الحياة؟ أهو رقيب على الكتابات العاطفية.

عندما اصبحا مجدداً في السيارة، المرأة الشابة أدارت رأسها الى الخلف على ظهر مقعدها وأغمضت عينيها.

«تبدين حزينة جداً، هل ترغبين بأخذ قسط من الراحة؟ ام ترغبين ان تدخلي الى غرفتك لتنكبي على كتابة رواية جديدة؟».

أدارات رأسها بقوة، ونظرت لمخاطبها نظرة مفكرة.

«اريد ان ابقى بعض الوقت في سان انطونيو...».

لم تبد اي شرح، لكن وميض قليل لمع في بؤبؤ عينيها الزرقاوين الغامقتين.

«اريد ان آخذ بعض الابحاث، قررت ذلك قبل الأوان».

«اتريدين بعض الابحاث لكتابة كتاب جديد؟».

«نعم...».

«مما يتألف؟».

«في الحقيقة... لا اعرف بعد».

«لا تريدين ان تقولي لي؟». قال لها ضاحكا، «اتخافين ان اسرق لك فكرتك؟».

«طبعاً لا، سيكون من الصعب ان اتكلم عن قصة قبل ان اضع لها تصميم، يلزمني أولاً بعض الدراسة...».

«دراسة...».

«طبعاً!». قالت وهي ترمقه بنظرة مزلة. «نسيت بأن رواياتي تتكون في اطار اسطوري؟ عندما اختار التاريخ، يجب ان اعرف عادات الناس، لبسهم، اكلهم، تفكيرهم، ماذا يحبون...».

«وبعد ذلك، تبدأين بالكتابة».

«بالضبط».

«كم يوماً تعملين قبل الافتتاح؟».

«في حدود سنة».

«حقا؟». قال مندهشاً.

استطرد قائلاً، بأن بعض الكتاب ينهون كتاباً في بعض الأسابيع. في هذه الكلمات الهجوم على بريانا استيقظ فجأة.

«اذا كنت تنوي ان تكون علاقتنا تابعة الطرق الودية، فأنت اذاً تصلي حتى لا اختلط مع الآخرين! انا لا ابذل سعي في الأدب، لكن البعض الذي يسعى ان يعطي قليلاً من الفرح للقراء. هذا يحتاج قوة قوية وساعات كثيرة تمر امام ورقة بيضاء».

«اذا، ما هذا الفوران!». رمقها بنظرة واكمل.

«اعتقدت بأن يكون ذلك معقولاً».

اخذ لها يدها وقبل طرف اصابعها بحنان.

«ارجو منك المعذرة».

انها متوترة جداً، لا تستطيع ان تجيب ولو بكلمات قليلة.

اكمل بصوت خفيف.

«هل انت مضطرة للدخول الى الفندق؟».

«لا». تمتمت غارقة في يأسها، تستعيد طرقات قلبها.

«اذاً، اعرض عليك نزهة قصيرة في السيارة، اعرف طريقاً ساحراً وليس بعيداً من هنا».

«أجابت بقوة، هذه فكرة جيدة».

شرارة صغيرة زرقاء، لمعت مجدداً في عيني ريدر...

اثناء المسافة، استرخت بريانا من هدهدة المحرك. كان يتراءى لها انها شبح في غيمة وتخترق السماء الملونة بالوان قوس القزح، بجانب رجل شديد وهادىء.

«استيقظي لقد وصلنا».

احمرت وجنتيها خجلاً، عندما فتحت عينيها، اعتقدت انه اقترب منها ونظرت اليه بحدة غريبة.

«اين نحن الآن؟». قالت له.

«هل لهذا السبب اهمية؟».

«لا...».

لم يعلق، لكنه كان يتأمل برصانة وجه مرافقته الجميل، حوض عينيها، خديها، انفها، شفتاها المرسومين كزهرة عذبة...

عندما انحنى تجاهها، كانت بريانا تشعر بأن قلبها توقف

عن الضرب. كانت تنتظر هذه اللحظة منذ بداية اليوم.. ومضت بعيداً بأحلامها المجنونة.

القبلة لن تزعجها ابداً: كان يبدو وكأن جسد ريدر وجسدها قد كونا لبعضهما للأبد...

«افكر انك اصطحبتني الى هنا لتضعني امام الأمر الواقع...». اعلمته بطريقة المداعبة لتسلبه اليها بشدة.

«واذا قلت لك بأنني متعبة!». قالت له بمزاح.

«لا اعتقد ذلك...».

تغيرت بحركة لا تستطيع ان تقاومها، ثم داعبت بخجل شعر مرافقها الاسود.

«لديك حق». قالت بصوت مضطرب.

اخذ لها يدها ووضعها على شفتيه.

نظرت اليه بدهشة. احست بأن كلام ريدر كان له معان مستترة كما وانه يغرسه بمعنى الفكاهة ليجعلها تفهم شيئاً ما...

«انت كاتبة، تجهلين اذاً بأنه يوجد عدة أنواع من النساء الباسلات: ملائكة وأبالسة، وفي بعض الأحيان يصعب تميزهن...».

لم تعلق بريانا على حديثه واكتفت بأن تحرك رأسها بمعنى القبول.

«حسناً». قال ببشاشة. «هل ننزل من السيارة؟ انظري: خلف الشجر يوجد فندق ساحر وهو رائعة سواح دالاس. هل انت جائعة؟».

«لا تقل لي بأنك تفكر ان تأكل بعد مأدبة الظهر!».

«لكن انا فعلاً جائع! لم تنته بعد فترة نشوئي».

«كم هو عمرك يا صغيري؟».

«اترصد الأربعين! لكن انا عمري الخامسة والثلاثون. اي كبير جداً؟».

«لماذا كبير جداً؟».

«لالحق الشابات مثلك...».

ضحكت ضحكة قوية وتبعته الى المبنى.

لم تتبدل الهندسة الداخلية بفعل حروب القرون الأخيرة، في السقف فوق، كان رنين مروحة من الانتيكا مبرومة كالبرغي، بسط فخمة موردة في الجدران.

«هل تحبين هذه الأماكن؟». قال ريدر وهو يوجهها على طاولة مفروشة بالأبيض.

«هذا رائع». اجابته بابتسامة براقة.

اخرج الكرسي ليجلس مقابلها.

«ان غرف هذا الفندق رائعة. لن تستطيعين ان تغادري يكساس قبل ان ترقدي على الأقل ليلة واحدة...».

قلب بريانا نقص بعض الطرقات. ماذا يجب على هذه المرأة الباسلة ان تجيب في اوقات كهذه؟.

كانت دائماً تجهز بعض المعاني للخروج من هذه المآزق. لماذا لم تجد اذاً، ان تجد واحدة من هذه الأوضاع التي كتبتها في رواياتها.

بخطها، لم تعذب وحيها وقتاً طويلاً.

«عادة». اكمل ريدر بنبرة ساخرة، «يجب ان تبقي عدة اسابيع للرحيل...».

«نعم، هذا ما اتصوره...».

في داخلها! هنأت نفسها لأنها نجحت في تلفظ هذه الكلمات بلهجة طبيعية كانت دائماً كالمجنونة: بتحريض، بخمود، بخيبة أمل... لم تفهم ابداً ما هو الدور الذي

يلعبه ريدر.

اذا كان يفكر ان يمضي الليل معها. لماذا لم يكن اكثر وضوحاً؟ واذا لم يكن هذا هدفه، لماذا هذه الاثارة التي لا نهاية لها؟.

عرفت فجأة بأنه منذ الصباح لم يكن لديها الوقت لتتمتع بفكر هائل! وقفت، توسلت لمرافقها وطلبت ان تستأذن منه للحظة، وابتعدت متوجهة الى الحمام. لم تكن غير مسرورة بأن تستأذن لبضع دقائق لسحر ريدر المغناطيسي.

عندما عادت الى الطاولة، لاحظت انه طلب بعض المأكولات. طبقين من اللحم المشوي، مع بعض البطاطا والفاصوليا الخضراء.

«هذه وليمة تكفي الغيلان». قالت ذلك وهي تنظر الى طبقها وهي غائبة عن الرشد. «ابداً، لن استطيع ان آكل كل هذا».

«هذا اكيد، قال بهدوء».

الحقيقة انه كان على حق... اللحم والخضار كانا شهيان، لكن بريانا لم تنجح بأن تأكل كثيراً. اما ريدر فأكل وشرب بهناء.

عندما تركا المطعم ليعودا الى السيارة، بريانا تنهدت.

«رغم كل شيء، لن اسمح لأحد ان يكلمني عن الأكل خلال اسبوع على الأقل!».

«لمعلوماتك، سأكون انا ايضاً غير قادر على اكل حتى فتات الخبز قال وهو يعانقها من اكتافها».

«يجب ان نشرب شيء...!».

«كان ذلك شفياً!».

ضحكا سوياً كطفلين مغفلين...

البلدة كانت نائمة عندما أطفأت انوار فندق الشيراتون حيث كانت تقطن بريانا. بدلاً من ان يقفا في الشارع لينزل صديقته، ريدر دخل الى الموقف المخصص للزبائن.

شعرت المرأة الشابة بقشعريرة. كانت تشعر بأن جلدها غير مقبول كما شعرت بدوار، كما لو كانت الكرة الأرضية تضاربت على محورها.

هذا اليوم لا يشبه اي يوم من الأيام التي عاشتها حتى الآن: كانت بعيدة، بمرافقة رجل عرفته منذ وقت قليل... بدأت تسأل نفسها اذا لماذا ترتكب جنون فظيع في قبولها عزومته على الغداء. امن على سيارته ونزل من مكانه ليفتح الباب لبريانا... قدميها مضطربتين بعض الشيء، خرجت بدورها. لم يظهر منه اية حركة لمساعدتها. جامد، نظر اليها بحدة. يا الهي، انه يبدو فجأة بارد، وقاس، وفظ...

الرعب كان ظاهراً من عيني المرأة الشابة، لكن، بدون ان يشعر، بدأت تعابير ريدر تلين.

«هل ستقدمين لي كوب من الشراب؟». قال لها.

حدقت به لحظة دون ان ترد. شخصية هذا الرجل كانت غير محددة: تمر بعض القساوة مع الحنان بسرعة مشوشة.

«حسناً... اجابته اخيراً».

اتجها نحو المصعد، وحافظا على صمتهما، حتى وصلا للطابق الذي تقطنه بريانا. هذه الأخيرة كانت ملتزمة بالاستعلامات، بعصبيتها لتقول أقل كلمة...

رغم مفاجأتها الكبرى، نجحت بفتح باب غرفتها بدون صعوبة. حتى عندما وضعت المفتاح في الباب لم ترتجف يدها.

قبل ان يسخر منها يشعرها بغصة مما يعقد لها

حنجرتها. سبقت عزيمة مرافقها، اخذت منه محفظتها وقميصها، ثم اقتربت من الطاولة حيث كان الهاتف.

«ماذا تحب ان تشرب؟».

«بعض الشراب، لو سمحت».

اما هي فطلبت فنجان قهوة، كانت تحب دائماً ان تبقى صاحية... طلبت المشروبات، وانضمت الى ريدر حيث كان يجلس. جلس الاثنين صامتين وقتاً طويلاً، وشعرت بريانا من جديد بعدم الارتياح. ماذا جرى؟ كانا سوياً فرحين كل النهار... لماذا هذا التوتر المفاجيء؟.

«هل... هل تعيش منذ وقت طويل في سانت انطونيو؟.

كان عليها ان تجبر ريدر ان يخرج من صمته.

«منذ وقت طويل».

«هل باختيارك؟».

«أجل، سانت انطونيو هي أجمل منطقة في دالاس». للأسف فكرتها لم تصلح! جربت بجدارة موضوع آخر.

«وماذا تفعل! اعني ماهي مهنتك؟».

ارتعش من مكانه، مما جعل بريانا تسمي عليه. كما وكأن هذا السؤال حيره... ثم، استعاد توازنه وأجاب بنبرة الهروب:

«ادير بعض الأملاك...».

في هذه اللحظات، طرق الباب، واستعدت المرأة الشابة لتفتح، «لماذا لم تطلب من المستخدم ان يتناول بعض الشراب معنا؟» قال ريدر بسخرية. عندما خرج المستخدم، جلست بريانا بجانب مرافقها وهي تصلي وجدانياً للسماء بأن هذا الشراب يجعله مرتاحاً.

الاستعلامات في الفندق كانت تفكر بكل شيء: بطبق ساحر وضعت فيه الأكواب بطريقة لبقة.

«هل تحب ان تأخذ فنجاناً من القهوة». قالت بريانا.

هناك المزيد مما يكفي شخصين.

«لا شكراً، هل تحبين ان تأخذي معي بعض الشراب؟».

فجأة، حول برأسه وابتسم بصوت منخفض، كما وكأنه يسخر من نفسه.

بريانا ضحكت ايضاً. حقاً انه شيء يستحق الضحك.

«لا شكراً، لا احب الشراب». اجابته بسرور.

جلس ريدر برفاهة على المسند، ووضع يده على ظهر الكنبة هذه، السهرة لم تكن مرموقة قالت المرأة الشابة بخمود.

«اين ترغبين ان تقطني في سانت انطونيو؟». قال بصوت دافيء.

«لا اعلم، لكني تعبت من الفنادق».

«نعم افهمك. عندما نمضي اسابيع بغرف فخمة كهذه لكن غير شخصية، نعطي كل شيء لنقضم سندويشنا بسلامة امام التلفاز ونسحب أحزيتنا لغرفة جلوس غير منتظمة».

«انه بالضبط هكذا!». قالت بابتسامة فرحة. رغم كل شيء لم يكن لدي روح الرحالة... بما انني سأبقى حوالي شهر في سانت انطونيو أحب ان اجد مبنى او بمعنى آخر بيت صغير...».

قطعت حديثها لتأخذ رشفة قهوة قبل ان تتابع مداعبتها:

«بالفعل، قلت لي بأنك تدير املاكك! ممكن انك

تستطيع ان...».

«انا لا اؤجر منازل». قطع لها كلامها بعجرفة.

«آه، اعذرني...». قالت بأكثر بشاشة لحدة مرافقها.

«في حين انني اعرف شخصاً يصبح ذو قابلية لمساعدتك. في اي فندق تنزلين عندما تصلين الى سانت انطونيو؟ سأرسله اليك...».

«سيحجزوا لي غرفة في «ماريو».

«ما هذه الفكرة الجميلة! انها بقرب باسيو ديل ريو.

«ما معنى ذلك؟».

«سأدع لك سرور الاكتشاف. اعلمي فقط بأنه يحتوي على واحدة من سواح سانت انطونيو.

«مدينتكم تخفي الكثير من السواح! قالت بابتسامة ساخرة. انا أكيدة بأنني سأعشقها...».

«نعم، بدون شك...».

اقترب فجأة من مرافقته ولمسها من اكتافها بلطف، وداعبها بنعومة.

«شعرك هائل... وعطره يسحر... كحقل ورد في الربيع». اغمضت عينيها وقلبها يطرق.

«جلدك ناعم... قال لها وهو ينظر لخديها الورديين.

بهدوء اختياري، اقترب تجاهها، عندما احست بريانا لمسة مرافقها على شفتيها، شعرب بأمواج ذهبية تذوب بفوز في قلبها ليصب نقط ملتهبة في عروقها، انتابتها قشعريرة.

ريدر ايضاً اعاد ضغطه وقبلها قبلة متوحشة. ضاعت... ثم ابعدته عنها، أجابها بهجوم شديد بقبلته. لن تكون اكثر من وردة عذبة تقطن وسط زوبعة... عندما

www.elromancia.com

ابتعدا من جديد، احست بأنها قد خسرت نفسها... حصرت عصبيتها تجاهه.

فقط قلبهما يطرقان طرقات مطابقة، ايديهم مضطربة...

طبعاً، تعرفت على ريدر منذ بعض الوقت، تجهل عنه كل شيء. كيف سلمت نفسها لرجل غير معروف.

كانت دائماً تشعر بأن أول رجل ستقابله في حياتها ستغرم به... هل هذا هو الرجل الذي طالما حلمت به؟ هل هو ريدر؟ كل هذا لم يترك أية اهمية...

انتظري لديك الكثير من الوقت، صوت في داخلها قال لها. حافظي على هدوئك، هذا الرجل غريب، غير مدرك للذي يفعل، سيجعلك تبكين...

لكن بريانا لم تسمع. هل تستطيع ان تتبع صوت حكمتها، عندما يلتهمك الجوع والعطش عندما نشعر بجسدنا وروحنا ملتهبين بنار الألم؟.

فجأة، شعرت بشيء فظيع، لا يمكن شرحه: ريدر كان قد جمد. لم يقبلها، ولا يداعبها... قصرت أنفاسه، أصبح مجمداً بأكمله كالحجر. اخيراً تركها وتعدل فجأة.

كالمجنونة، استعادت حنينها.

يا الهي، لماذا نبذها في الوقت الذي قدمت له نفسها بكل حرارة؟.

«ريدر...». تمتمت له.

دون ان يتوقف عن تأملها ريدر أقفل أزرار قميصه وأخذ معطفه بسرعة. فعل ذلك. ووقف ومرر يده بشعره بسرعة. بريانا مضطربة، نظرت اليه، لماذا فعل بنفسه هكذا؟ لماذا استخف بها، مثل... فتيات الشارع؟.

شد عضل وجهه. تنهد، ثم تمتم بعبوس:

«اعتقد انني استطيع... لكن لا، هذا غير معقول... لست وقح». لذلك بريانا منعت دموعها بقوة. عن ماذا يتكلم؟ لم تفهم شيئاً...

«تعلمت ان احصل على كل ما أريد». تابع. «كنت ممنوعة علي: لو كنت شخصاً روائياً، سأكون دنيئاً حتماً...

وقف ونظر اليها طويلاً، احناكه كانت مشدودة، عيناه اكثر ثلجا من السكينة. أخيراً، دون ان يزيد كلمة واحدة، استدار وخرج. بريانا لم تتحرك. التفت على الكنبة، خالية الذهن... تراءى لها بأن كلمات ريدر ملأت كل الغرفة، مثل العصافير السوداء السرية والمهددة... شيئاً فشيئاً انتابها اضطراب ورجفة. كانت على حافة كريزة أعصاب، متراوحة ما بين البكاء والضحك. يا الهي، لا يمكن ان تكون هذه هديته... لماذا هو بهذه القساوة المذلة؟ لماذا، ريدر؟.

بدون ان تشعر، غمرتها عصبية كاملة.

فتحت الباب بقوة، وقالت بصوت متأجج في الغضب.

«ريدر كانترل، رجل قذر. و... و...

قالت هذه الكلمات وهي تفتح الباب، لحسن حظها ان لذين كانوا في الفندق كانوا بعيدين عنها... لم يكن هناك سوى اثنين ينظرون اليها.

دخلت بريانا الى غرفتها، اتكأت على الحائط قليلاً. لو عاشت مئة سنة لن تستطيع ان تنسى ابدا نظرات هؤلاء الناس اليها.

اتجهت نحو المرآة كالآلة، نظرت الى نفسها. كانت

غير قادرة على الوقوف، شعرها غير مصفف، خديها مغمورتين بالدموع... انها حقاً مهزلة...

اوه، لماذا هي مضطربة هكذا؟ رغم كل شيء الذي حدث لها لن يغير مجرى التاريخ: في العصور القدمية كانت النساء معتادة على رفض الرجال اما الآن فقد أصبح الرجال بدورهم يرفضون النساء...

تابعت قولها، هل تستطيع ان تمحي هذه الفضيحة من مخيلتها؟ ما جرحها اكثر، هو انها لن تستطيع ان تفهم شيئا...

هل ريدر هكذا يحمل على كل النساء اللواتي يقابلهن؟ هل لديه عدة من النساء؟ ام هو رجل خطير؟ ام هو حساس لا يريد لها الأذى؟ كلماته التي قالها قبل ان يخرج تجعلها بكل الأحوال تفكر...

كل هذه الأفكار كانت شيطانية. كان غير طبيعياً ان تشغل بالها بهذه الأسئلة، على كل الأحوال، لم تتوصل لجواب.

لأن بريانا كانت متأكدة من شيء واحد: بأنها لا تريد ان ترى ريدر كانترل. ولن تجعله يمر بمخيلتها، بشرط ان تستطيع ان تقوى على ذلك... لماذا لن يكون شخصاً روائياً كما قال لها؟ بأية ممحاة ستمحي اسمه! ثم مزقت الورقة ورمت بها على الأرض...

عندما ستذهب من هذه البلدة ستنسى كل شيء. للأسف كانت مضطرة ان تذهب الى سان انطونيو.

المسافة الى سان انطونيو ساعتين، بريانا كانت مرهقة من القيادة، انها وحيدة في شوارع تكساس متجهة مباشرة نحو الجنوب.

عندما كانت تحب ان ترتاح ستتوقف في واكو، ثم تمضي يوماً في اوستن، لكن للأسف لم يكن لديها الوقت الكافي، كانوا ينتظروها لمقابلة في الاذاعة في الساعة السابعة، قبل ذلك كان يجب عليها ان تضع امتعتها في الفندق، ان تستحم، وتبدل ملابسها وتلتهم القليل من الطعام قبل ظهورها الأول. كان الوقت متأخراً عندما تركت دالاس كان يجب عليها ان تخرج في وقت مبكر، لكنها للأسف لم تنم كما يجب ولم تنجح بالاستيقاظ باكراً، وبما ان ذلك الوقت لا يكفي، فهي عندما فتحت عينيها، كان تفكيرها الأول بالنسبة لريدر.

كانت تنتظر بدء ابحاثها بفارغ الصبر. نص روايتها المقبلة كانت قد حددتها بضميرها، تتألف من بعض البلدات المكسيكية.

عندما وصلت الى سان انطونيو، بريانا اتجهت بسرعة نحو الفندق. غرفتها تعطي صيت شائع لباسيو ديل ريو، حيث ريدر سحرها بحرارته.

المرأة الشابة لم تستطع ان تغير اتجاه نظرها ولو نظرة واحدة عن مياه النهر في الاتجاه، حيث كتبت بريانا بكسل قلب المدينة الهرم...

عادت بريانا بطيبة خاطر، في حين الباسيو ديل ريو كثيراً ما تذكرها بريدر كانترل. اما هي فقد قررت ان تمحي هذا الرجل من ذاكرتها...

محطة الاذاعة، تشبه كل الأماكن التي زارتها في الأسابيع الأخيرة: معابر تائهة، ممرات، أبواب شفافة، حيث للزائرين فقط يكون لديهم الحظ حتى لا يضلوا طريقهم.

لحسن الحظ جاء احد المخرجين ليصطحب بريانا الى الاستوديو حيث سيبدأ البث.

المذيع كان جاهزاً، جالساً على طاولة مع مكبرات للصوت.

عندما ظهرت بريانا، وقف وأخذ لها يدها بحنان.

«عظيم، انت دقيقة جداً».

رسمت على شفتيها ضحكة صغيرة. تحديداً، المذيعين في الاذاعة، كانوا جميعاً ينتمون الى نفس المدرسة: كن أنيقات، انتظروا لتكونوا على الهواء قبل ان تبدأ المقابلة.

جاسون دايلي كان قد حفظ درسه جيداً: منذ ان جلست بريانا مقابله، بدأ يقرأ الأشياء التي حضرها.

ذلك لم يشوش على بريانا أبداً، لأنها كانت معتادة على ذلك. شعرت بأنها جريئة لمحاورة أي مذيع.

مرت عشر دقائق بصمت، مخرج الفترة كان يضع اللمسات الأخيرة.

جاسون دايلي أكمل مراجعة أسئلته.

أخيراً ثبت رأسه تجاهها.

«نحن بعد خمس دقائق الى بعد موجز الأخبار مباشرة».

«عظيم». قالت له.

ركز المذيع الأجهزة على أذنيه، وانتظر نهاية موجز الأخبار.

تمتم بصوت خفيف. نحن الآن.

بدأ البث، وجاسون دايلي قدم ضيفته. قدم ملخص صغير بأن ضيفته كانت في سان انطونيو لتقدم مؤلفها الأخير.

حدد بأن ممكن ان يتصلوا بها المعجبين، ليتحاوروا مع كاتبتهم خلال نصف ساعة من البث، اعطى اشارة الى

التقنيين ليضعوا أغنية.

بينما الأغنية على الهواء سارية، أشعل سيكارته بلطف.

«هل قرأت صحف المساء». فاجأها.

أجابته بدهشة، لا.

«لماذا؟ هل استطيع ان أفعل».

«ذلك يجعلك حريصة».

لم يكن لديها الوقت لتتعمق بالموضوع، لأنها أصبحت مجدداً على الهواء...

خلال نصف ساعة من الوقت وهي تجاوب على أسئلة جاسون دايلي. كانت قد أجريت معها مقابلات مماثلة، وبدأت تكرر نفس الشيء.

في البداية كان يبدو جاسون دايلي وديا، لكن فيما بعد تغيرت المقابلة فجأة. كان يبدو عليه وكأنه يحدد لشيء ما في ذهنه...

قال لها بابتسامة لا توحي بأي شيء حسن. «هل لديك ذمة لتمرني الاغراءات الغير المسموحة في شعبك؟».

تفاجأت بريانا تماماً لدرجة انها ستقع في الفخ. «علام تنوي يا سيد؟ في كل الأحوال هناك بعض المذيعين الجدد ممكن ان تكون انت منهم».

«لا أحد من الصحافيين يترك هذا النوع من الأسئلة».

«اعتقد بأن الأشخاص ليسو متصفحين كما وصفتهم، استاذ دايلي. الأغلبية فيهم مسؤولين مثلكم ومثلي...».

«من ناحيتك الراشدين فقط هم من يشتري كتبك».

«على الاطلاق».

«على اعتبار، انك تكتبين لأجلهم فقط».

استعادت حيويتها قليلاً. لا يجب على مخاطبها ان

يعصبها.

«أجل». أجابته بقليل من الصمت.

«في كثير من الأحيان قراءك هم بعض الفتيات الصغيرات، أليس كذلك؟».

«بالضبط».

«وهذا الا يزعجك».

«لماذا؟».

«لأن ذلك يكون بعيداً كل البعد عن النواحي الأدبية مما يجعل الفتيات تقرأن كثيراً منهن...».

«أجهل بأنني أعرض الأطفال للخطر في تصفحهم الروايات العاطفية». أجابت بسخرية.

جاسون دايلي قطب حاجبيه. لسوء الحظ، دعابة مخاطبته أوصلته الى قمة عصبيته.

«تعلمين تماماً ماذا كنت أريد أن أقول»، قال لها بقساوة. «انت تعطين أفكاراً صبيانية و...».

«هذه الأفكار» لأعيد كلمتك ليست بحاجة لأن تكون ملقنة!». قاطعته بحيوية، انها مرتبطة بالحياة الاجتماعية. وثم توقفت لحظة لتستعيد أنفاسها، ثم تابعت أكملت بنبرة خانقة:

«استاذ دايلي، انا لا أخجل من الذي اكتبه. رواياتي لا يسببوا أية مذلة».

أشار المذيع للتقنيين بأن يبثوا أغنية ثانية.

بريانا حاولت جهدها لتضع بعض التسلسلات في ضميرها. لماذا جاسون دايلي اضطهدها هكذا؟ هل هذه هي طبيعته في تقديم برامجه في حين هذا ليس تفسير كاف. الدلالة الوحيدة التي وضعتها بريانا هي الكتابة التي

لفتت نظرها اليها في جريدة المساء.

هل استطاع ايجاد الحجج في بعض العناوين؟.

لم يكن لديها الفرصة بأن تتحاور معه قبل ذلك: عاد جاسون دايلي الى الهواء ثانية. طلب من المستمعين في المناقشة التي سيجريها مع الكاتبة وأعاد عليهم رقم الهاتف الذي يجمعهم معها، حتى بدأ يقرع جرس الهاتف في الاستوديو.

خلال النصف ساعة المقبلة، كانت بريانا واقعة تحت دوران من الأسئلة كل الذين اتصلوا بها كانوا مسرورين من أعمالها. لا يوجد أي اضطهادات من أحد على كتبها. في حين الكثير من الشابات الصغيرات اتصلوا بها مهنئينها على أعمالها. جاسون دايلي، كان ينظر اليها بكل غرور.

عندما أتت خاتمة البرنامج، بريانا تنفست بخمود، وقفت ومدت يدها لتصافح مخاطبها لتبرهن له بأنها تتمتع بروح رياضية وحتى لا يترك لها في قلبه الضغينة.

أجاب عليها وهو يضغط على نفسه... للأسف تضايق للحظة شعر بأن عروقه تغلي في جسده.

في غرفة الادارة، رأت التقنيين يضحكون لها، جاسون دايلي أدار لهم ظهره، وصفقوا لها تصفيقات حارة كما وكأنهم يهنئونها بأنها ربحت المعركة...

عندما تركت الاذاعة اتجهت فوراً لشراء جريدة المساء، واتجهت نحو سيارتها. وجلست خلف المقود وبدأت تتصفح العناوين. في الصفحة الأولى... «مؤلفه ريدر كانترل».

بريانا أحست فجأة بنفحة هواء ميته. هذا ما حدث اذاً! صحفي! لماذا لم تشك به أبداً؟ لم تعتقده ابداً كذلك،

بالنسبة لي. كنت فقط أريد ان اعرف شخصية بريانا سانت كلير التي تخفيها وراء هذا القناع المزيف».

«حسناً، استطيع ان أقول بأن الآنسة سانت كلير ساحرة، جدية مستقيمة وكتابتها بعيدة عن الأدب».

«اما بالنسبة للآنسة سانت كلير فهي خطيرة جداً».

«في بعض الأحيان عرف بأن بعض شخصياتها استوحتها من الجماعة المحيطة بها. بهذا الخصوص، اختار لكم ان تقرأوا بانتباه زهرة الرمال، اذا استطعتهم ان تتقبلوها مرة واحدة ستكتشفوا ان هذه الرواية تحتوي على خمارة خاصة مخالفة لاختبار خارق النساء الباسلات. اذاً، هذه الشخصية المشؤومة تصف بدقة شخصية المسؤول عن القرية، حيث كان والد الكاتبة الرومنسية يعمل. اما من ناحية الآنسة سانت كلير، هذه الشخصيات كتبت عنها اكثر من مرة، مما جعلها تتقدم».

«لم أستطع ان أمنع نفسي من التساؤل اذا كانت سالبات الأصدقاء لم تتعذب أحياناً من تصور الهذيان...».

«مهما كان السبب أصدقائي المواطنين، أرجو منكم ان تفتحوا أعينكم وأن تصمدوا جيداً: بريانا سانت كلير وصلت اليوم الى مدينتنا سان انطونيو وتنوي ان تقطن في بلدتنا عدة أسابيع...».

مزقت بريانا الجريدة بغضب. المسخ! كيف استطاع ان يسخر منها هكذا على صفحات الجرائد؟ آه، يا الهي لم هذا الاذلال؟.

انزلت زجاج نافذتها وأخذت نفساً عميقاً.

كيف استطاع ريدر بكل جسارة ان يشيع الذي امنته عليه بخصوص مستخدمي الآنسة سانت كلير؟ ماذا سيحدث اذا

ولهذا أجابته على كل أسئلته. كيف استطاع ان يجعلها بلهاء؟.

مضطربة من الذعر، بدأت بالقراءة:

«آه، الأدب العاطفي! من الذي لم يقرأ، على الأقل مدة واحدة في حياته، رواية من هذا النوع؟ هذا الأدب يجب ان يكون له قيمة حقيقية...».

«القاموس يعطي تفسير لهذه الكلمة على الوجه التالي: جذب الأحلام... يشار الى النفس الرومنطيقية بأنها تزداد في الخيال اكثر من الحقيقة... اذا حاورنا أطباء بلدتنا، ستكون اجابتهم بأن الكثير من الشبان، ينتهي الحب عندهم بالطرق السيئة. أما بالنسبة للفتيات فينزفن الكثير من الدموع، عندما يقرأن هذا النوع من الروايات».

«فلنترك الآن هذا الموضوع، ولنهتم بالذين يكتبون هذا النوع من الروايات. أفكر الآن بروائية في وقتنا الحاضر وهي تستعد لتنشر كتابها الأخير: زهرة الرمال».

«التقيت بريانا سانت كلير صدفة في احدى المكتبات في دالاس حيث كانت تحضر للإفتتاح. عمرها ثلاث وعشرون عاماً، جميلة: شعرها أشقر طويل وتستطيع ان تجذب أي رجل. اما بالنسبة لميزاتها الأخرى فهي مساوية لمهنتها».

«خلال ساعات، رأيتها تخوض سرباً من المعجبات السريعات التعجب آتيات من الأفاق التعيسة التنوع.

بعد ثوان قليل الآنسة سانت كلير لم تنتهي من ضحكتها. وقراؤها تركوها وهن مهنئين لها ودفعن لها مبلغاً وقدره أربع دولارات ليأخذن منها اوتوغرافاً».

«لكن الطريقة التي اتبعتها المرأة الشابة لم تكن مهمة

وصلت هذه الجريدة الى بنسلفاني؟ انه من الطبيعي انه سخر في بنودها: الأساسي بالنسبة له هو ان ينشىء ورقة لامعة تجذب قرائه.

بالرغم من عصبيتها، كان يجب عليها ان تضبط أعصابها.

أية اتجاه يجب عليها ان تسلك في الوقت الحاضر؟ ماذا تسمى اذاً هذه الدعوة؟.

لكن لا، ليست فكرة جيدة. هذا يتطلب الكثير من الوقت والطاقة. الأحسن هو جهل هذه الرسالة الهجائية، ولتضعه موضع التحقير.

الدعابة هي أفضل طريقة لنزع الخصومة. يجب الاعتقاد دائماً بأن سكان سان انطونيو يتبعن بريانا بسخرية...

الأقوى من ذلك سيكون في المقابلة التي ستجريها في اليوم التالي على شاشة التلفزيون.

بالطبع لن ينسوا ابداً من محاورتها عن هذا الهجوم الموجه اليها. ليس من السهل ابداً ان تتهرب بابتسامة.

«سأذهب مندفعة!». فكرت وهي ترفع رأسها بعصبية.

المقابلة التلفزيونية لن تكون أصعب من المقابلة الاذاعية.

لحسن الحظ. لم يهتم المخرج لأية أهمية للذي نشر في الجريدة.

فيما بعد، اتجهت مباشرة الى المكتبة، حيث كانت تنتظر أولى المؤلفات التي وضعت عليها امضاؤها عندما دخلت الى الفندق، اتجهت بريانا الى الكافيتريا، جلست على طاولة وطلبت عصير الفاكهة.

دخل رجل الى الكافيتريا حيث كانت بريانا جالسة منذ بعض الوقت التفت نظرة حوله، ثم اقترب ناحية بريانا.

كان الرجل مسنا وشعره مجعد، في عينيه نظرة فرح، وفي وجهه.

«يومك سعيد! انت الآنسة سانت كلير أليس كذلك؟».

أجابته بأجل، بحركة في رأسها.

«كنت أكيداً! لقد رأيتك على شاشة التلفزيون هذا الصباح أتسمحين لي بالجلوس؟».

«نعم...». قالت له وهي تأخذ حقيبتها بمعنى أنها ذاهبة...

«آه، يا للأسف! كنت أحب ان اتحدث معك! زوجتي واحدة من معجبيك هل انت مضطرة للذهاب الآن؟».

نظرت للحظة اليه من دون ان تجيب. كانت نظرته تشدها مما جعلها لا تستطيع ان تبتعد عنه.

«كلا...». قالت له أخيراً، اجلس لو سمحت.

«شكراً! أجابها بابتسامة مشرقة.

طلب بعض الشراب ثم اتجه ناحية مرافقته.

«أتقطنين في هذا الفندق؟».

«أجل...».

«وهل تنوين البقاء كثيراً في سان انطونيو؟.

«عدة أسابيع...».

منذ تجربتها القاسية في دالاس، عرفت بعض الأشخاص المشاغبين...

«أليس مدهشاً ان تعيشي في فندق وقتاً طويلاً، في كل الأحوال، انا لا حب ذلك...».

«هل انت زبون في هذا الفندق».

«لحسن الحظ، لا! انّا وانا نقطن في شمال المدينة. أعمل في الأملاك الثابتة».

قفزت بريانا.

«الأملاك الثابتة، اعادت».

«أجل... في هذا الخصوص ان كنت ترغبين بمنزل في سان انطونيو فهناك منزل صغير بهذا، وسعره معقول».

«لا أفكر بهذا الموضوع».

«آه، أين كان رأسي؟ لم اعرف عن نفسي! اسمي بول دانيال. اما من الناحية التي أتكلم عنها فانا لا أقصد الشراء، بل الايجار».

«هذا لا يهمني انا لا...».

«لو سمحت، لا ترفضي كلياً. انه حقاً عمل استثنائي! المكان رائع والمستأجر هزوء...».

«انه أحول». قالت له.

«سأؤمنك، السقف ليس خارق.

فقط المالك هو احد أصدقائي، عائلته تعيش في هذه النواحي منذ ولادته وكل قطعة في هذا المنزل تذكره بألم مهول، وهو لا يريد ان يقطن أحد في منزله، ولا يريد ان يتركه نهائياً».

«لهذا السبب كلفني بأن اؤجر له حتى يبت في أمره».

«وأين هي هذه الأعجوبة؟».

عرض مخاطبها، أغرى بريانا، في حين انها لا ترغب ان تمضي كل وقتها في الفنادق. كانت بحاجة لمأوى قريب لعملها التي ستذهب اليه كل يوم.

«ليس بعيداً عن هنا، في الأحياء القديمة لخطوتين من ايميسفير بلازا. كان ذلك رائعاً، الوسط يقع في هذا

المكان بالضبط!».

«حسناً، ذلك يهمني كثيراً. اذا هذا المنزل أعجبني، اعتقد بأنني سأقبل عرضكم استاذ دانيال».

«انا واثق بأنه سيعجبك من النظرة الأولى. هل نذهب غداً اليه؟».

«بكل سرور...».

«موعدنا الساعة العاشرة. هل انت موافقة».

«عظيم...».

نهض وصافحها بلطافة.

«انا واثق بأنك لن تعتذري». تمتم قبل ان يبتعد.

في اليوم التالي، وصل بول دانيال، بريانا وصلت الى السكن الذي طالما كانت لها الفرصة ان تقبله.

في المقدمة حجر أبيض جميل المنظر، قريب لعبارات ايقاعية، شبابيك أحنت عليها سنديان...

«الآن، ماذا قلت؟». قال بول.

«قبلت به...».

«دون ان تلقي نظرة على الداخل». قال لها بنبرة هازئة مهذبة.

«اطلاقاً! انها عظيمة».

«كنت أكيداً بأنك ستحبينها. أسست في نهاية القرن التاسع عشر. أيضاً تستطيعين ان تكتشفي ان غرفها مقسمة بنظام».

«اذاً، بما تفكرين؟ هل انت مصرة علي أخذها؟».

ليست اكيدة، هذا المنزل كان كبيراً جداً عليها، في حين لا تريد ان ترفضه.

«سأفكر بالأمر...».

«بشكل عام، اذا لم يكن لديك محذور، اقترح عليك ان تمري الى مكتبي لنوقع على العقد. وفيما بعد...».

«هل تقبلين ان تتناول الغداء سوياً؟ انّا لديها الرغبة بأن تتعرف بك! اذا لم أصطحبك، انا اكيد بأنها ستقتلني. لكن، هل لديك ارتباطات؟».

«لا، لست مرتبطة، ولا أريد ان أكون مرتبطة، خاصة بمقتول!». قالت وهي تضحك. «شكراً لدعوتكم...».

«يجب علينا ان نسرع، انّا احضرت لنا السباغيتي، انها اكلتها المفضلة».

«رائع! اني احب هذه الأكلة كثيراً...».

خلال المسافة حتى يصلوا الى مكتب بول، بريانا جمعت افكارها بعزم كبير: ستنقل امتعتها الى مسكنها الجديد في صباح اليوم التالي، ستمر الى محلات العطور لتدخر بعضها.

في هذا الخصوص، كان يجب عليها ان تستدعي اهلها هذا المساء بالذات لتعلم اذا كانوا قد علموا بريدر كانترل. استدعائها الوحيد لهذا الاسم، كان كافياً بأن يجعل ضربات قلب بريانا تتسارع. المسخ. قالت بعصبية. يا الهي، كم تتمنى ان تقتله بعصبية! لكن لا، هذا يجعله يفخر بنفسه. الأفضل هو ان تمحيه نهائياً من ذاكرتها.

عندما صافحت بريانا كل الناس باحترام كالعادة، ووقعت أوراق المنزل، عاد الاثنين الى السيارة.

«انا حزين...». قال بول. «كنت اريد ان اضبط لساني».

نظرت اليه بحنان، كان من المستحيل ان تغضب تجاه رجل مثله! يشبه طفل صغير نشأ بسرعة، بشعره المجعد،

نبرات صوته وابتسامته.

«لا تعتذر، اناس كهؤلاء بالنسبة لي ساحرين، واعتدت دائماً على اللهو معهم».

«اتعرفين بانك اول كاتبة التقيتها؟ هل هم جميعاً مثلك؟».

«ما معنى ذلك؟». قالت له مازحة.

«اذاً... انت حقاً فاتنة. وبشكل خاص بسيطة».

عندما وصلوا الى منزل دانيال، استعدت زوجة بول لاستقبالهم بأكثر من السرعة التي يسمح بها سنها المتقدم.

«انا سعيدة جداً لهذه الزيارة». وأخذت يد بريانا لتصافحها. نظرت بريانا اليها بدهشة. انّا تملك روح طفل بشعرها الأسود الطويل وعينيها الكبيرتين الغامقتين.

«اشكر لك هذه الدعوة».

أحست بريانا بأن هذه المرأة ستصبح احد أصدقائها.

«هذا فخر لنا... قالت انّا».

اقتربت من زوجها ووجهت اليه ابتسامة مضيئة.

«بالنسبة لنا جميعاً»، زادت بصوت خبيث. «بول انا والطفل».

«كما لاحظت صديقتي بريانا. العائلة يجب ان يكون فيها طفل من أجل الإرث! أجابها بحنان».

«أمي تقول بأنها فتاة، بينما والدة بول تتنبأ لنا بطفل!» شرحت لبريانا بفرح. «امامن ناحيتي، فهذا لا يهمني. سأكون أسعد النساء اذا كان شعر طفلي أحمر كوالده!».

ضحك الثلاثة معاً، وبريانا لاحظت بأنهما مغرمين ببعضهما.

«اعذريني، يجب ان أذهب لأحضر الغداء». قالت انّا.

«حبيبي اهتم بضيفتنا لو سمحت».

عندما غابت عن الأنظار، استدار بول ناحية بريانا وعيناه تلمعان بحنان...

«انها جداً جميلة». قالت بريانا.

«أجل هذا رأيي أيضاً».

«ما هو التاريخ المنتظر الذي ستستقبلون به مولودكم؟».

«خلال ثلاثة أسابيع...».

بضع دقائق وانتقلوا الى طاولة الطعام وتذوقوا أكل انّا اللذيذ. أثناء الطعام لم يتوقفا عن المداعبة وكأنهما لم يريا بعضهما منذ وقت طويل.

هذه المداعبة أزعجتها. هناك بعض الأشخاص يبتعدوا عن بعضهم سنوات عدة ولا يفعلوا ذلك. اما البعض الآخر، فيفتحون قلبهم من اللحظة الأولى بالنسبة لريدر كانترل...

آه، لماذا تفكر به؟ ألم يكن الدرس كافياً؟.

«بريانا؟». تمتمت انّا بصوت فرح. «هل انت تعبة؟».

«لا، أبداً، سامحاني... اعتقد بانني كنت أحلم...».

«هل تحلمين بكتابك الجديد؟».

«بالطبع».

«يبدو انه سيتطلب منك جهد كبير». قال بول وهو ينظر للروائية باحترام.

«هذا صحيح».

«تحبين مهنتك. أليس كذلك؟».

«بالطبع ويصبح علي من المستحيل ان اعيش بدونها».

فترة بعد الظهر مرت بسرعة، عندما نظرت بريانا في

ساعتها لم تستطع ان تصرخ من المفاجأة.

«يا للقدرة الالهية، لقد أصبحت الساعة الخامسة...».

«وبعد؟». قال بول بغفلة.

«يجب ان اتكلم! انا هنا منذ الظهر».

«هل هذا مؤلم؟».

«لا، لكن...».

«عزيزتي، سنكون غير محترمين، لو جعلناك تذهبين قبل ان تستيقظ انّا. ألقت بنظرة على المرأة النائمة على الكنبة في الطرف الآخر.

«وعملك؟». قالت له.

«لا تتألمي لذلك! انا بحاجة لتغيير بعض الأفكار...».

«كل هذه الحجج لتبقى بجانب انّا، أليس كذلك؟».

«اطلاقاً».

جلس على الكنبة وأغمض عينيه، واخذ ينظر الى صديقته من خلال رموشه.

«على ما يبدو لي بانك بحاجة لتسترخي قليلاً. هل انا مخطىء».

«لا...».

«حسناً، استرخي ولا تفكري بشيء».

«أهذه تعليمات الطبيب؟».

«أجل أخي طبيب، ودائماً يزودني بنصائحه...».

«آه حقاً؟ انا شقيقي مهندس. الآن استطيع ان أبني منزل؟».

«طبعاً!».

«بول... أستطيع الآن ان اقول لك بأنك رائع؟».

«انا أسمع هذه العبارة كل يوم».

«في هذه الحالة، لن تقول لي بأنني أجاملك؟».

«لكن لا، لو سمحت: ليست لدي القابلية».

ضحكا معاً، وبريانا تنهدت بسكون.

فجأة هناك بعض الأشياء في عبارات بول حذرتها. كان يتوجه وينظر الى الباب برعب.

استدارت بريانا نحو الباب باضطراب...

أحست بأن دمها يغلي في عروقها: ريدر كانترل كان هنا على عتبة هذه الغرفة...

«ريدر!». قال بول ونظر الى بريانا بجنون. «لكن.. ماذا تفعل هنا؟».

الصحفي لم يجب مباشرة. نظر الى المرأة الشابة. حضوره احدث ردة فعل، مما جعل عضل أحناكه متوتر، في غضون لحظات قليلة استعاد حيويته.

«انا هل ادخل فجأة الى هنا، فقد طرقت الباب قبل ان ادخل». قال ذلك وهو يبتسم ابتسامة غير محتملة.

بريق أضاء في عينيه.

«يومك سعيد، بريانا،... كيف حالك».

هذه الكلمات بقيت في ذهنها.

مدهوشة، غير قادرة على الكلام، رأت المرأة الشابة ريدر كما وكأنه يعود اليها ثانية. لن يكون ذلك معقولاً.

قامت عن كنبتها ونادت بول بعصبية.

«انا... انا اعتقدتك لا تزال في دالاس!».

«الحقيقة لا...». قال ريدر.

اتجه نحو الكنبة التي كانت مستلقية عليها بريانا.

«متى حدث؟». قال بول وهو يبلع ريقه.

«منذ ساعة تقريباً...».

«لمَ لم تتصل بي قبل ان تأتي الى هنا...».

«لماذا؟ هل أزعجتك بهذه الزيارة؟».

«لا، ولكن...».

قبله بشجاعة، اكمل بول حديثه ورمى بنظرة تجاه بريانا.

«آه، بسبب زائرتك؟». قال الصحفي بنبرة ساخرة. «فهي لا تستطيع ان تنكر بأننا التقينا يوماً...».

دون ان يخرج من عفويته، اقترب ناحية بريانا التي لم تتحرك ابداً. وقف بجانبها واخذ وجهها بيديه وهو يجبرها الى النظر اليه.

«نحن نعرف بعضنا، أليس كذلك؟».

هذه الكلمات الفجائية أغضبت بريانا.

«نعم». أجابته وهي تنظر اليه نظرة غضب.

«هل صديقتنا ليست على ما يرام».

الذي لا تستطيع ان تفعله هو ان تأخذ مطرقة السجاد وتضربه!.

«أريد ان اقول لك شيئاً استاذ كانترل. انت شيطان!».

صدى صوتها، شد بقوة انّا من نومها.

«ماذا يجري؟».

ادارت رأسها، اكتشفت ريدر.

«آه، لا». قالت مندهشة.

«هذا جيد». قال الصحفي بنبرة فرحة.

«انا مسرورة لرؤيتك، ريدر». لكن... بريانا نهضت.

يا الهي ما هذه الخدعة! طوال هذا اليوم الجميل اعتقدت بأن عائلة دانيال مخلصة.

انهم يخدعونها بسخرية... ريدر كان صديقهم، كانوا

www.elromancia.com

على علم بما كتب عنها . . .

«أشكر لكم هذه الدعوة الفاخرة». قالت ببرود. «والآن هل تسمحون لي بأن استعمل الهاتف . . .».

«لماذا؟». قاطعها بول.

«لأطلب تاكسي».

«آه بريانا!» قالت انّا وهي تحاول ان تنهض. «لو سمحت لا تفعلي ذلك . . .».

بول نجه ناحيتها ودلك لها اكتافها بحنان.

«لو سمحت، ساعدي انّا في توضيب المنزل . . .». قال لها ريدر في اذنها «انها تعبة من الحمل. اما اذا كنت لا تريدي ان يأتي المولود قبل الأوان فلا تفعلي شيء».

بريانا اضطرت ان تبقى لأنها وجدت ان لديه الحق. انّا كانت تعبة وشاحبة.

«سأصطحبك». تابع الصحفي بصوت عال. «يبدو لي ان هناك حوار صغير . . .».

«أجل، قل ذلك . . .». تمتمت انّا. «بريانا نحن جداً متأسفين لهذا الاحتكاك! لم نكن نريد ان نجرحك . . .».

«دعيهما يذهبا». قال بول بهدوء.

خرج الجميع من البيت. بريانا لحقت ريدر بجفاء الى سيارته فتح لها الباب وجلست في السيارة دون ان تلقي نظرة واحدة الى عائلة دانيال.

شعرت انّا بأنها فعلت شيئاً غير عادي، لكنها لا تستطيع ان تتحمل كل ما حصل. أحست وكأنها انسانة خبيثة . . .

«عندما نصبح بعاد عن الأنظار سأنزل من هذه السيارة وسآخذ تاكسي».

جلس ريدر وراء المقود وأقلع. بريانا كانت تنظر امامها بجمود، انتهت دون ان تتلفظ بكلمة واحدة. قالت له فقط ان يتوقف عندما يصبحا بعيداً عن هذه الأبنية، الأمر الذي جعل ريدر يقود بسرعة المجانين.

«اذاً، انت غاضبة من نفسك». قال لها فجأة.

أدارت رأسها. الآن لا ينقصه سوى ان يؤلف خطة أخرى! .

«هذا السؤال مطروح علي؟».

«نعم! بسببك بول «انّا أحسوا بأنهم بؤساء كدود الأرض!».

«انا لست مسئولة للذي حصل، انت المسؤول، لا تحاول ان تبيض صفحتك هذا شيء سهل!».

«انا، لا احد يقودني كطفل مدلل . . .».

«وانا أيضاً».

«هذا سؤال رأي، يا صديقتي العزيزة . . .».

«هذا قوي!» صرخت بصوت مرتجف. «أوقف هذه السيارة فوراً أريد ان آخذ تاكسي!».

«وهل تعتقدين بأنك ستجدين تاكسي هنا؟».

«سأحاول. لكن دعني انزل أولاً!».

«لا . . .».

«ماذا؟».

«قلت لك: لا . . .».

أطفأ محركه، النار كانت تلتهم شجرة الليمون، بريانا وضعت يدها على مقبض الباب. ريدر أصبح مضطراً ان يقف امام النار الأحمر. بريانا اضطرت ان تبقى معه. وهذه فرصتها الأخيرة.

كأنه يقرأ أفكارها، اخذ يدها بقساوة ليمنعها من ان تضعه امام الأمر الواقع. كانت ترغب بأن تضربه جامداً. تركها فقط عندما استطاع ان يقلع.

«هل يفرحك ان تلتهم النساء الضعيفات؟».

لم يدعها تموت لكنه لا يريدها ان تنسى هذه الفرصة لتمحي من ذاكرتها ذمته العاطلة.

«ليس لدي الاختيار». قال بهدوء. «اما امنعك من الذهاب او أدعك تموتين».

«نجحت بعدم استطاعتي الرحيل أليس كذلك؟».

«لا، اريد ان اذكرك بأننا يجب ان نتحاور».

«وانا الاحظ بأنه لا حوار بيننا، وليس لدي ما اقوله لك!».

«اذاً ستسمعين. مهما يكن الأمر انصحك ان لا تحاولي مرة اخرى ان تنجي...».

«واذا لا؟». أجابته بعنف.

«سوف تعتذرين بكل احترام...».

«آه، حقاً؟ أي عذاب ستريني قل لي لو سمحت؟ هل ستضربني بالعصا، ام ستحرقني بالزيت الملتهب؟».

كلامها نزل عليه كزخات المطر.

«حقاً لديك تعابير قوية شرسة».

«شكراً».

عندما توقف، نزلت من السيارة ونظرت من حولها بدهشة.

«اين نحن الآن؟».

«هل سمعت احداً يتكلم عن الاموا؟».

«شيء طبيعي...».

من منا لا يعرفها حيث كانت الجماعات الصغيرة التكسانية تتضارب لعدة أيام مع الجيوش المكسيكية. انها احدى اهم حروب الاستقلال».

«اذاً، افتحي جيداً عينيك: هنا الامو على يمينك. هل زيارة هذه البلدة تهمك؟».

ادارت رأسها الى الاتجاه الذي أرشدها عليه. ليس بعيداً من هنا رأت المباني القديمة الاسبو ـ أميركية وديكوراتها مكونة من المباني الأميركية.

«اذاً؟». قال ريدر «مارأيك في فكرتي هذه؟».

بريانا لا يمكن غشها. مرافقها كان حتماً يريد ان يتحاور معها. كما فعل حين اخذها الى ذلك الفندق الساحر في دالاس. برغم هذا الاطار المليء بالمفاجآت أجابته على كل اسئلته. لكن هذه المرة لن تكون حمقاء... دفعة واحدة، لا تريد ان يكون الأقوى.

«جيد، حسناً... ماذا بعد، هيا بنا».

نظر اليها نظرة غضب.

«آه، لقد خليتي بسرعة... هذا يعني ان مستقبلك لا يشير الى أية مزايا. علام تنوين؟».

«سيرة الامو لا تهمني، هذا كل شيء».

«لكن، ألم تتكلمي معي عن...».

«قلت لي منذ لحظات بأنه لا يكفني ان اسمعك».

ابتسامة سخرية رسمت على شفتي الصحفي.

«لن اكون قاسية لأجبرك على السكوت. سيكون اكثر من طاقتك».

«اتعتقد بانك تعرفت علي كذلك؟».

«لا» قال لها وهو ينظر اليها بانتباه. «انت بالنسبة لي يا

عزيزتي لغز. . .».

«ولدي الرغبة ان ابقى حتى تتخلص مني». قالت له بعبارة متوحشة.

ساعتين وهي تبحث في أعماق الامو، ريدر اصطحب مرافقته الى حديقة فيها بعض أشجار البلوط. ساعدها لتجلس على الحجارة وجلس هو بجانبها.

«اذاً». قال لها. «كيف رأيت الامو؟».

رغم اعتراضها الكبير، بريانا كانت مضطرة للقبول بأن الصحفي كان مرشد قصّ لها قصة هذه البلدة.

«هذا مهم جداً». قالت له ببرودة.

«هل تعتقدين ان ذلك سيكون طبيعي بالنسبة لكتابك المقبل؟».

سكوت مر بين الاثنين. المرأة الشابة سرحت بما حولها. رفضت دائماً ان تسمع ماذا يريد مرافقها ان يقول لها، في حين انها لم تقرر الذهاب. . .

اطرد فجأة، «غيرت رأيي، ليس لدي الرغبة ان اتكلم، افضل ان اسمعك».

«ماذا تريد ان أروي لك؟».

«كل شيء. . .».

«هذا شيء مبهم!».

«بريانا. . .».

اثار عصبيتها. بما انه يبحث عن عصا ليتضاربا، لا يجب عليها ان تسنح له هذه الفرصة!.

«حسناً!». قالت له بابتسامة ضئيلة. «طبيعتك لعينة الأمر الذي يحثني لاكتشافها. لم تكن لديك الجرأة حتى لتقول لي بانك صحفي، وحاولت ان تجذبني اليك بكل انواع

الاهتمام. والآن ماذا تريد مني بعد؟».

توقفت للحظات حتى تستعيد انفاسها لتكمل:

«هل تعلم، لم أحب ابداً الصحفيين: لأن لديهم كل الوسائل الدنيئة ليكتبوا على ما حصلوا عليه من معلومات!».

«هل انا واحد من هؤلاء؟». قال بلطافة.

«لا، بل انت الأكثر عفة! انت تخفي أشياء في جيبك؟».

«ان بياناتي ممتازة».

«لا يجب ان تفخر بنفسك هكذا. هل تعرف بأنني استطيع ان احولك للمحاكمة انت وصحيفتك؟».

«بأية تهمة».

«لأنك تكلمت عني بغيابي!». قالت له بدعابة.

«ما معنى ذلك؟».

«تركتني أسمع بأنني. . . بأننا».

«بأننا امضينا ليلة معاً. . .». قالت بينها وبين نفسها، غير قادرة على قول هذه الكلمات بصوت عال.

«لم ادخل شيئاً». قال وكأنه يقرأ أفكارها.

«على كل الأحوال قللت ادبك في ملاحظاتك المحزنة الذي أفشيت سرها بالذي فعلته!».

«انتبهي، لا تتكلمي عن كتاباتي، فهي جيدة جداً!».

«هذا سؤال رأي، يا صديقي العزيز».

لكن بريانا لم تغضب.

«اعتقد انك فهمت ماذا كنت اود ان اقول لك بخصوص مساعدي والدي؟ اي ان والدي سيلحق به الخطر بخصوص كتاباتك».

www.elromancia.com

«لن يحدث اي شيء. كتاباتي لن تمر على تكساس».

«هل هذا وعد منك».

«طبعاً...».

«آه، هل رأيت!».

«بكل الأحوال قلت بأن هذه القصة اخرجتها من اوهامك المفرطة من الخصوبة».

«لتتكلم جدياً! تكلمت عني وكأنني بلهاء!».

«انت تبالغين كثيراً. القراء يستطيعون ان يضعوا ملاحظاتهم بأنفسهم».

«ليس لديك الحق بتحرير حوار سري!».

«هل تستطيعي ان تمنعي نفسك من الكلام؟».

«اخفيت عني بانك صحفي! اسمح لي بأن اقول لك.

«لا افهم لماذا انزعجت هكذا. رغم كل شيء. اغلبية الكتاب يستوحوا شخصيات رواياتهم في محيطهم. وليس هناك شيء مزعج، ولا احد يزعجهم...».

«لديك اجوبة لكل شيء، أليس كذلك؟».

«لا...».

«اذاً، قل لي».

«اوه كثر!» سخطها فجأة. «هذه المجادلة لن تقود لشيء. قلت كل ما في قلبك، دوري الآن...».

نظر اليها باضطراب.

«رأيك الذي كونته عني، لا يهمني. لدي الكثير من الأعداء في هذه المدينة: تستطيعين ان تحصي عددهم لن يقتلونني. ما عدا عائلة دانيال، انهم على خلق. لم يأتوا بك ليذلونك بل حاولوا مساعدتك، لأنني انا طلبت ذلك منهم. انا...».

«هل لديك ضمير ونخوة؟». قاطعته.

«لا، انا لا احس بالذنب تجاهك. انا تركتك عندما خجلت من نفسي».

فجأة احمرت وجنتا بريانا التي اجبرت ان تدير رأسها. هذا ما حدث اذاً.

عظيم! في الوقت الحاضر ماذا ينتظر منها؟ ان تهنأه؟.

«وعدتك بأن ارسل لك احدهم ليأخذ لك ماوى في سان انطونيو». تابع وهو يعني بول.

«انت رجل كلام».

«احاول...».

«هذا لن يكون سهلاً، بالنسبة لطبيعتك».

رفع اكتافه.

«اتمنى ان لا تفكري بي إلا بالخير، ولكن أرجو منك ان لا تحقدي على بول وانا...».

امام السكون الذي طغى على بريانا، تنهدت تنهيدة صغيرة ووقفت.

«تعالي، سأصطحبك».

«لا، شكراً... افضل ان اذهب على قدمي».

«الفندق الذي نزلت به بعيد عن هنا».

«لا يهم، فأنا احب السير».

«لكن الظلام سيداهمك، قبل ان تصلي».

«لا اخاف الظلمة».

«يا لهذا الاندفاع! الا تخافي ان يداهمك احد في الظلمة؟».

«هذا لن يكون اسوأ من الذي حصل لي منذ فترة».

«اذا أسأت اليك، فهذه علامة لسوء تصرفك».

www.elromancia.com

«لم اقصد ان اقول لك ذلك!».

«الى اللقاء بريانا...».

لم تستطع ان تخفي اضطرابها، لم يتلفظ احد اسمها بهذه الطريقة. ولا احد يستطيع ان يحرك اعماقها بصوته فقط. عندما ابتعدت احست بكآبة...

ريدر كان على حق: المسافة ستأخذ وقتاً طويلاً، بريانا مشت اكثر من ساعتين، كانت كل لحظة تقف لتسأل المارة عن الطريق. لكن بفضل الله، وصلت الى الفندق دون ان تتعرض لأي عائق.

عندما وصلت الى غرفتها اخذت حماماً ساخناً، وكانت بحاجة ماسة للتمدد؛ حوارها مع ريدر جعلها تضطرب من جديد.

ان هذا الرجل كان غير محتمل فعلاً! كان يجيبها على كل الأسئلة وكأنه لم يقترف معها اي شيء. كانت مضطرة ان تبقى معه لأنه زودها ببعض المعلومات التي تحتاجها في كتابها.

كانت تجهل بأن هذا السيد صحفي، في حين لم تكن هذه حجة كافية. لا فهي كانت صريحة جداً وصادقة. للأسف اليوم، تخاطر بأنه تسبب بظلم لها: آنسة سانت كلير. ريدر كان يحلم بذلك! تنهدت المرأة الشابة تنهيدة عناء. والمنزل؟ هل يجب عليها ان تأخذ قراراً بشأنه.

هذا الموضوع سيجذبها الى بول وانّا دانيال. هل هم ابرياء كما وصفهم ريدر؟ هل حاول فقط تقديم المساعدة لها؟.

هذه الفكرة كانت تؤيدهم. بريانا وجدت بسرعة حنان هذا الفريق وتمنت من كل قلبها ان لا يكونوا قد خدعاها.

لكن ريدر كان صديقاً لهم...

اوه، كلهم شياطين! غداً ستنتقل الى منزلها الجديد، ولن تفكر بهؤلاء الناس! انها هنا لتعمل فقط.

خرجت من حمامها واتجهت نحو الهاتف. كان يجب عليها ان تعلم ان كان الذي كتبه ريدر قد وصل الى بنسلفاني.

اجابتها صديقتها سيلفي.

«اوه بريانا، اين انت يا عزيزتي؟ دائماً في تكساس؟»

رسمت المرأة الشابة ابتسامة صغيرة. كانت دائماً بقرب شقيقتها البكر، برغم فارق السن بينهما.

«أجل، انا في سان انطونيو. سأمكث عدة أسابيع. وهذا الصباح استأجرت منزلاً».

«هل استطيع ان ازور هذا المنزل؟».

«طبعاً، حينما تريدين!».

«اني امازحك... لا استطيع ان اترك اولادي».

«لماذا؟ امي وأبي يسعدهم ان ينتبهوا على اولادك».

«اخاف ان تكون شهامتهم تكللت بالضعف. نحن هنا منذ البارحة وتومي كان سيفجر المطبخ. تصوري!».

«الله يحرسكم!».

«أجل ان هذا ضروري! هل تنوين ان تكلمي امك؟ انها في هذه اللحظة في الكاراج مع احفادها الصغار تصلح الضوء».

ضحكت بريانا من جديد. السيدة سانت كلير عبقرية والكهرباء كانت لا تخفى عليها.

«لا تزعجينها... لقد اتصلت بكم لأقول لكم بأنني بصحة جيدة».

«الم تلتقي بعد بفارس الأحلام الذي يشبه كاوبوي؟».

«لم اقابل احد. وبدأت اتساءل هل كل الشبان تركوا تكساس؟». قالت بريانا بابتسامة ساخبة.

«سأنتقم من كل الصحفيين الذين أجدهم في كل زاوية من الشارع». قالت بسخرية.

«للأسف الشديد! احب كثيراً ان يكون لي شقيق. في تكساس لهم علامات مميزة، الا تري ذلك؟».

قبل ان تنهي المكالمة كان يجب عليها ان تحقق هدفها من هذه المكالمة. بأن تعرف اذا كان ما نشره ريدر قد وصل الى بنسلفاني.

«كيف حال ابي؟».

«انه بصحة جيدة...».

«هل يعاني من عوائق مع مديره القاسي الاستاذ تورنتون؟».

«لا». أجابتها...

بريانا تنهدت بارتياح. ان الرب قد استجاب لصلاتها، لا احد من عائلتها على علم بما قد نشر.

«حسناً، لن اطيل عليك مكالمتي، قبلي لي جميع افراد العائلة».

«حسناً، انتبهي جيداً لصحتك».

بريانا وضعت سماعة الهاتف، وبقيت للحظات دون حركة، غارقة في أفكارها. والدها لم يعلم شيء، وتستطيع الآن ان تنكب على عملها بقلب جامد.

بدأت تجمع امتعتها. غداً صباحاً ستصبح في منزلها الجديد، اما الآن فيجب عليها ان تنام نوماً عميقاً.

- ٢ -

في اليوم التالي، استقلت بريانا في منزلها. تنظيفها للمنزل لم يتطلب منها مجهود كبير. اختارت فقط الغرفة التي ستنام فيها لترتب امتعتها، كما كان يجب عليها ان تملأ ثلاجتها. المرأة التي نظفت لها المنزل لم تترك لها ولا حبة من الغبار.

بعد تناولها الغداء، احست بملل، قررت ان تتجه الى قانون الحرائة التكسانية لم يكن لديها الرغبة ان تزور الأماكن التي استدعت لتمضي فيها بعض الأسابيع علمت بأن الوسط الزراعي يتكون من صالة عرض حيث كان يوجد أشياء متعددة تعطي فكرة للطريقة التي عاش بها بعض الناس في هذه المنطقة. لحسن الحظ، قابلت المسؤول عن هذه الأشياء وطلبت ان تتحدث اليه لثوان قليلة. زودها بفكرة عامة ثم حدثها عن الزراعة المكسيكية بشكل خاص. فيما بعد رمت بنظرة الى المكتبة.

www.elromancia.com

مليشة بالحيوية خرجت من المكتبة واتجهت الى سيارتها. ما ان مسكت مقودها حتى سمعت هدير سيارة تقف...

حدقت للحظة، اعتقدت انه ريدر مما جعل قلبها يطرق بسرعة. لكن لا، ملامح ريدر كانت معروفة بالنسبة لها. انه بول... وقف، ونزل من سيارته متجهاً ناحيتها.

«هل ارفع الراية البيضاء؟». قال بخجل. «ام تريدين ان تعطيني انذار؟».

بريانا استعادت حيويتها. منذ مطلع النهار كانت تريد ان تمحي من ذاكرتها كل شيء مؤلم، لكن لم يكن لديها أية رغبة في ابعاده.

«هذا يمحي ما فعلته». قالت بجفاء.

«هل لديك الرغبة في ان تقدمي لي فنجاناً من القهوة لو سمحت؟ هذا يعطيني الشجاعة لأشرح لك وأقدم لك أعذاري...».

هذه المرة، لم تستطع ان تمنع نفسها من الضحك.

«جيد، اذاً...».

«على الأقل، لن ازعجك؟ ألم تدرك أشياء مهمة؟».

«لا، لا شيء أساسي...». قالت له وهي تنزل من سيارتها.

دخلا الى المنزل وبريانا اصطحبت مرافقها باتجاه المطبخ.

«اتوسلك الجلوس يجب ان ابحث عن البن. فأنا لم أتأقلم في هذا المكان بعد.

«انه في الجهة اليمنى...».

رمقته بنظرة مندهشة.

«كيف عرفت ذلك؟ هل انت زبون هنا؟».

«الجميع يضعن هذه الأشياء في الجهة اليمنى أليس كذلك؟».

وبعد... قلت لك بأنني اعرف المالك.

بريانا لم تعلق على كلامه. وجدت البن في المكان الذي أرشدها اليه بول. وبدأت تصنع القهوة.

«هل تفضل ان نجلس في غرفة الاستقبال».

«لا، فلنبقى هنا. جو هذا المكان الحار يلائمني...».

بهدوء، جلست مقابله.

«بريانا...». بدأ كلامه بصوت هادىء. «لم نكن نعلم عن الذي كتبه عنك ريدر... لم نقرأ حتى الصحيفة، اقسم لك. انّا مزقته بقوة عندما كانت تحضر لنا الغداء. حتى انها اتصلت بي لتعلمني بذلك. هل تذكري؟ كنا في مكتبي نمضي معاملات الايجار. في الحقيقة، ريدر تلقى مكالم هاتفية بينما كانت هي تحاور العاملين عنده».

«ما الذي كان باستطاعتنا فعله؟ ريدر صديق وفّي لنا... وانّا نشأت في المنزل المجاور له».

قفزت بريانا.

«من؟».

انزلت رأسها وتنهدت.

«اريد ان اشرح لك كل شيء. فيما بعد اذا لم ترغب برؤيتنا، انّا وانا سنفهم و...».

«ريدر، هو مالك هذا المنزل. هكذا اذاً». قاطعته بدهشة.

«أجل...». أجابها. «كما قلت لك لا يستطيع ان يعيش هنا. طلب مني ان اعرض عليك هذا المنزل، لأنك

تبحثين عن مأوى. بريانا... ريدر ليس قبيحاً كما تتصورين؛ انه يهتم كثيراً بالآخرين...».

«صدقيني...». تابع. «رغم كل عيوبه، فقد ساعد عدد كبير من الناس لكن ذلك لا يمنعه من ان يكمل عدم عدالته».

«بكلمة واحدة، صديقك هو من نوع سوبرمان».

«هذا قليل... لا يمتنع عن اي خطر يهدده في تحقيق هدف يرغب به».

«أجل وضعت نفسي بشكل جيد لكي اعرفه».

بول فتح يديه بحركة عجز.

«ما كتبه عنك هو فعلاً مضحك. في حين انه لم يقصد ايذاؤك فهو يتخذ جميع الوسائل لتصل كتاباته للناس بشكل مثير وانا وانا فرحين به كثيراً...».

«لماذا؟».

«بشكل عام، أجل... لقد تعرض لحادث مفجع، خرج منه بأعجوبة...».

رفعت بريانا اكتافها، محاولة افهام بول بأن ذلك لا يهمها، في حين قلبها كان يتألم.

«وماذا يعنيني كل ذلك؟». قالت ببرودة.

نظر اليها بول طويلاً، كما وكأنه يريد ان يبحث عن هذا القناع التي تخفيه.

«لا شيء...». تنهد اخيراً. «حاولت فقط ان اشرح لك...».

قاطعته. «قلت لي بأن انّا قد نشأت في احد هذه المنازل».

«نعم، كانت تقطن المنزل المجاور».

«كانت تعيش مع أهلها دائماً».

«عائلتها تركت المنزل، في حين اهل ريدر توفوا منذ ثماني سنوات. وبعد اهله بوقت قصير توفيت شقيقته».

بعد محادثة طويلة، قامت بريانا لتحضر القهوة.

«لا تنزعجي»، قال لها. «أخيراً لا أرغب كثيراً في تناول القهوة...».

توجه بدوره وحدق بصديقته نظرة وقار.

«ها انذا قد بحت لك بكل شيء... ان كنت لا ترغبين بالبقاء في هذا المنزل، سأساعدك لايجاد مأوى آخر. ممكن انك لا تريدين ان تسامحيني انا وانّا... لكن اطلب منك ان تفكري في حوارنا».

«نعم، اعدك بذلك».

وضع يديه في جيبه واستعد للخروج.

«هذا عنواننا ورقم هاتفنا، اذا أحسست انك بحاجة الينا، اتصلي بنا مهما كان الأمر...».

«شكراً». قالت له وهي تأخذ البطاقة.

بعد خروج بول، شعرت بريانا انها تعبة. عندما عرفت بأن هذا المنزل يخص ريدر فقدت كل حيويتها التي كانت تشعر بها.

هذا فظيع، كان لديها ضمير. لكن الفكرة التي مرت في خيالها، بالذي رواه بول عن صديقه، رفضت ان تحلم بأن الصحفي مشنع كما تصورت. فضلت ان تأخذ برأيها الأول: هذا يجعلها تزيد احتقارها له. وان تصر انها لن ترى هذا الرجل ابداً...

اوه، حتماً، يجب عليه ان يتحمل حقدها الكبير المشكوك فيه.

لكن، لماذا كل هذا الحقد في داخلها تجاهه؟ لأنه اذاع السر الذي آمنته عليه؟ لا... بصدق، ليس كذلك.

أليس من الساعة التي قدمت بها نفسها له؟ ممكن ان يكون ذلك مقبولاً، لكن ذلك لا يؤيد بريانا. ان تكون قد رمت نفسها عليه، فهذا شيء يحرجها...

ترفض ان تثقل حيويتها لهذه الذكريات المؤلمة. اخذت بريانا حقيبتها وخرجت من المنزل. جهزت نفسها لتذهب الى مركز قانون الحراثة التكسانية، عندما جاء بول اليها: لم يكن الوقت متأخراً لتضع تصميم انجازها.

لم تجد اي صعوبة في ايجاد المركز الزراعي. عندما وصلت الى المركز بدأت تتجول في داخله.

أدارت رأسها بقوة، حدقت نظرة زرقاء له... ريدر كانترل. حدق اليها بقوة مما جعلها تحمر خجلاً. للأسف تذكرت جيداً بأن هذه النظرة هي نفس النظرة التي رمقها بها قبل ان يقبلها في دالاس...

شدت على شفتيها بغضب؛ كما وكأنه اكتشف اضطرابها، اما بالنسبة لنظرات ريدر فكانت ساخنة...

دون ان تتركها نظراته، اقترب اليها بهدوء. اوه كم تود ان تهرب، ان تختفي للأبد!...

بدلاً من ذلك، تجرأت بجدارة بأن ترمي كلماتها بجفاء.

«ليس لديك شيء تفعله سوى ان تلحق بي؟».

«بلى...». تمتم بابتسامة صغيرة.

«في هذه الحالة، لماذا انت هنا؟».

«انا على موعد مع صديق لي لم يصل بعد. سأنتظره...».

«هل لذلك علاقة بكتابتكم؟». قالت ذلك مستوحية كلامها من حوارها مع بول.

«أجل...».

ابتعدت بهدوء عن الواجهة الزجاجية، بدون تردد لحق بها ريدر. كان يرتدي جينز، وقميص، فهو يشبه حقاً الكاوبوي ماذا تفعل، هل تترك المكان؟ طلبت من مرافقها بتهذيب ان يتركها بسلام.

بفخر، لم تكن لديها اية رغبة...

ما الذي لا يجب ان تعطيه، لتكون في نفس هذا الوقت، جلست وراء طاولة العمل، وهي تتصور مشهد مماثل! امام ورقة بيضاء، لن نجد اي صعوبة في كتابة حوارات فيها صدمات ريدر قرر ان يفقدها كل صمودها؛ معه كانت تشعر بأن توازنها مربوط بخيط...

اقتربا من عجلة خفيفة تاريخها من قرون ماضية، لكنها مقبولة ريدر داعب شعرها بلمسة حب.

«كنت مرة في احد المتاحف المشابهة، احدهم قال: ممكن ان تكون سيارتي الخاصة هذا غير معقول! هذه العجلات تمشي حقاً». رغماً عنها، اعادت له بريانا ابتسامته.

«أجل، هذا ما يحدث عندما يرى المرء شيئاً جديداً... في القديم كان الناس يتنزهون في هذه البوجي، كما استعملوا كل الأدوات الموجودة في هذه الصالة. وكانوا يشعرون بالحب والفرح... بالضبط مثلنا اليوم...».

اخذ ريدر يدها بحنان وتابعا الاثنين زيارتهم.

«هل تستطيعين ان تحيي العيش في غير هذا الزمن؟». قال لها.

«أهذا ايضاً حوار ملغوم؟». أجابته بسخرية.

«لا، هذه مجادلة ودية». أجابها ضاحكاً.

«في هذه الحالة، ستكون اجابتي: لا، وانت؟».

رفع اكتافه.

«اوه، هذا يختلف... في بعض الأحيان، اتأسف لأنني لم اعش في الأزمنة القديمة. يتراءى لي بأنني سأصبح شيخاً افضل من وقتي هذا».

«شيخ روائي؟». اعادت بدهشة. «لماذا؟».

«بسبب الجواسيس... ان هذا مؤلم!».

«هل نسيت بأن الكثير منهم قد عدموا!».

رفع اكتافه ثانية.

غير قادرة على الاستيعاب، بريانا طرق قلبها بسرعة.

هل كان من المعقول ان ريدر كان بخطر كما اخبرها بول؟.

لهذا السبب هو قليل التمسك بالحياة.

وقفا بجانب واجهة حيث كان مؤلفاً داخلها من حانوت من خشب ألقت بريانا نظرة على القطع الموجودة في الداخل، عندما شعرت بأن صديقها قد ينفذ صبره. كان يلقي حوله نظرات يبحث فيها بهدوء عن الشخص الذي كان على موعد معه.

«انه غير موجود؟» سألته بريانا.

«لا، انا انتظرته كثيراً. اذا أراد ان يراني حقاً، فليتصل بي».

«هل انتهيت انت من زيارتك؟».

«نعم». أجابته.

«لم، لا نأخذ طعام الغداء سوياً؟ هل رأيت الباسيوديل

ريو؟».

«لا...».

«في هذه الحالة، اقترح عليك ان تكتشفينها. هل امر عليك حوالي الساعة الخامسة والنصف».

بريانا لا تستطيع حتى الاستماع اليه. كانت بضميرها مكتئبة منه بعد المهزلة التي سببها لها. اما بالنسبة لقبولها دعوة اخرى سيكون الجنون بعينه. لكنها لا تستطيع ان ترفض طلب لهذا الرجل.

«حسناً...». أجابته.

«هل تحبين الأكل المكسيكي؟».

«حقاً... سأكون صادقة معك، انا لم أذقه ابداً...».

«يجب ان تعتادي على ذلك! سأحجز طاولة في الباسيوديل ريو».

«عظيم...».

«سأحجز حالاً، بريانا...». تمتم بابتسامة ساحرة.

ثم ابتعد بخطى كبيرة...

بريانا كانت مستعدة في الساعة الخامسة والنصف.

عندما تركها ريدر بقيت مدهوشة مدة ساعة، ثم ستعادت توازنها.

ذهبت الى منزلها بسرعة مدركة انه لم يكن لديها الوقت. لتستحم، وتصفف شعرها، وتحضر ملابسها...

استطاعت ان تنتهي من هندامها قبل الموعد المحدد وبقي لديها بعض الوقت...

جرس الباب قطع بريانا عن تفكيرها. اضطربت رجليها قليلاً، واتجهت نحو الباب لتفتح.

كان ريدر واقفاً على عتبة الباب، بلباسه الأسود. ثابت

في مكانه يرمق بريانا بنظرات الاعجاب.

«هل استطيع ان ادخل؟». تمتم اخيراً.

هذه الكلمات اعادت فجأة بريانا الى حيويتها. لماذا هي مسمرة هكذا غير قادرة على التعبير، محمرة الوجنتان وقلبها يطرق؟.

انها راشدة، وهذه ليست المرة الأولى التي تأخذ فيها موعداً من رجل! لكن الآخرين ليسوا جذابين كريدر كانترل...

«نعم، بالطبع...». أجابته. «انت هنا في منزلك...».

«لا، هذا البيت من حقك... لقد استأجرته منذ وقت طويل. وانا هنا مجرد زائر...».

«هل ترغب ببعض المشروب؟ للأسف ليس لدي البن لأقدم لك فنجان من القهوة في الوقت الحاضر، لكن استطيع تقديم لك بعض الشراب...».

«لا شكراً...».

تأملها من جديد.

«تشبهين فراشة ذهبية... رقيقة، باهرة...».

«اشكرك... وانت لا تقل عني بشيء...».

هذه الدعابة هي الوحيدة التي استطاعت ان تخفي وراءها اضطرابها الذي سببه لها ريدر بكلماته العذبة هذه.

«شكراً!». اعاد بنصف ابتسامة.

«هل انت تسخر مني؟»رمت كلماته بدعابة.

«انت لست اقل الناس لأسخر منك!...».

«حسناً... جعلتني اطمئن».

فجأة اقترب منها واخذ لها يدها بهدوء.

«اعتقد انه كان يجب علينا ان نخرج». تمتم. «وان لم نخرج الآن لن نتناول طعامنا ابداً...».

كان ينظر اليها طويلاً الأمر الذي جعلها تخجل. كم كانت غبية لأنها استسلمت من اول جرح سببه لها، لكنها غير قادرة عن منع سحره عنها. لمسات أصابعه على جسمها كانت لا تقاوم...

«هل وجدت صعوبة في حجز طاولة؟ قالت هذه الكلمات محاولة ان تستعيد حيويتها».

«لا، لأن مدير الباسيوديل ريو احد أصدقائي».

«ليس لديك اعداء في الوقت الحاضر؟».

رفع اكتافه.

«هناك بعض الأشخاص يحقدون علي، لكن عددهم قليل...».

اقترب وأخذ يد بريانا وقبلها.

«وانت بريانا؟». تابع بصوت خفيف. «اين تصنفينني، بأية مرتبة؟ هل... سامحتني؟».

لو طرح عليها السؤال في وقت مضى لأجابته بلا ودون تفكير. اما الآن فهي لا تعلم... انها تخجل من نفسها، يجب ان تقنع نفسها بأنها لا تحمل عليه أية ضغينة.

ستحاول عدم نسيان مخالبه. لكن قلبها يرفض ان يسمع ما يخالجها. للأسف لن تستطيع ان تمنع قلبها من ان يحس به... منذ اللحظة التي قابلت بها ريدر، بتلك المكتبة في دالاس، فقدت القدرة على اختبار نفسها. في الوقت الحاضر، قررت من جديد ان تخرج مع هذا الرجل الضائع... ايضاً تريد معرفته من جديد وتدخل في اعماقه، تريد ان تعرف كيف يعيش، كيف يفكر... هل

www.elromancia.com

هو حقاً كما وصفه بول؟.

«انا. . . انا احاول ان أسامحك». أجابته أخيراً.

تبسم لها ابتسامة حنان.

«انها بداية جيدة. . .».

كالبكماء، تبعته الى السيارة. حاملة بقلبها خجل كبير تجاهه.

لم يتلفظا بكلمة واحدة طوال الطريق، لكن سكوتهما هذا كان مزعجاً فجأة سمعا صوت ناي الذي جعل لهم كلامهم غير طبيعي. . .

عندما أوقف محركه قرب الفندق الذي كانت تقطنه بريانا عندما اتت الى المدينة، الصحفي خرج فجأة من سكوته المؤلم.

«اتمنى ان لا تكوني جائعة كثيراً؟ لأننا لن نتناول طعامنا قبل الساعة التاسعة».

«الساعة التاسعة؟». اعادت بدهشة.

«نعم، انا احضر لك مفاجأة صغيرة».

«حقاً؟». صرخت بفرح كطفلة. «قل لي ما هي هذه المفاجأة!».

«لا تطرحي علي اي سؤال!». قال لها ضاحكاً. «اما ان كنت تريدين ان تعرفي نأخذ بعض السندويشات لنستطيع ان نفرح».

«هل انت جائع؟».

تذكرت جيداً كمية الأكل التي التهمتها في دالاس.

«قليلاً. . .». أجابها. «لكن لا أرفض القليل من الناشو».

«مم يتألف؟».

«سيدتي، ماذا علمونا في المدرسة يا صغيرتي؟ يجب ان يتفرغ احد لتهذيبك وسأكون انا، بكل سرور. . .».

اخذت بريانا نفساً عميقاً: ليس هذا وقت الاحمرار.

«في هذه الحالة، استطيع ان اناديك «استاذ كانترل»؟». قالت له.

«ان فعلت هذا، لن أجعلك تتذوقي ناشو!.

«انت حقاً قاس! حسناً. . . سأتغيب عن موعدي.

«كوني هادئة».

ركن سيارته في شارع صغير محاطاً بالمباني وساعد صديقته للنزول من السيارة. بعد عدة أمتار كانت هناك جماعات تجلس لتسمع الاوركسترا على حافة النهر.

لم يكذب ريدر عندما قال بأن الباسيوديل ريو مكاناً رائعاً. كانت الجماعات تنزل على حافة النهر والأطفال يلعبن تحت أنظار امهاتهم. . .

عندما تعرفت بريانا الى هذا الجو الساحر، التفتت بريانا نحو مرافقها وتبسمت ابتسامة فرحة. هو أيضاً بدوره تبسم بهدوء، لكن شرارة ضئيلة لمعت في عينيه الزرقاوين. . .

بعد ذلك، اصطحبها الى المكان الذي يوجد فيه الناشو. كان مزيجاً من اللحم والجبن معاً.

عندما اقترح ريدر على بريانا ان تتذوق قطعة. فتحت بريانا فمها قليلاً كطفل مدلل.

كان الحر كثيراً مما جعل بريانا تشعر بأنه سيغمى عليها. للأسف الصحفي كان يريد ان يراها هكذا، الأمر الذي جعله يضحك بقوة. . . اكملا نزهتهما حتى حل الظلام، خافت بريانا ان لا يكون ريدر حنوناً معها. كان ماشياً بجانبها، يداه في جيبه، كما وكأنه يوهمها انه سيهرب. . .

اخيراً وصلا الى المطعم، الطاولات موضوعة على شاطىء البحر قرب المياه، وكلها كانت مشغولة وعدد من المستخدمين واقفين لتلبية الطلبات.

اعتقدت بريانا بأن صديقها حجز طاولة على حافة المياه. لم تتناول في حياتها طعاماً في جو مماثل...

«ريدر!». قالت فجأة بنبرة مليئة بالأنوثة، بالضبط وراءهم.

عادا ليكتشفا، رجلاً ضخماً، عيناه وشعره اسودان كل الملامح المكسيكية بادية على وجهه. ابتسامة فظة مرسومة على وجهه.

«جيمس! قال الصحفي وهو يأخذ له يده ويسلم عليه بحيوية.

«انا سعيد جداً، يا عزيزي... منذ وقت طويل لم تأت الى هنا».

ولم آكل الأكل المكسيكي الحقيقي!».

«انا فخور بسماعك تقول ذلك!».

نظرات جيمس حدقت ببريانا بامعان.

«ماذا تنتظر لتعرفني على هذه الفتاة الفاتنة؟».

«انتبه، بريانا... تحب البيض».

«هذا ما شعرت به يا صديقي...».

«أجل، لكنها تحب ايضا الروس، السمر...». تابع ريدر بنبرة.

«حسناً! اقدر وضعها: كل النساء تكرهني».

«لهذا السبب اقترحت عليها ان تبقى على حدى!».

«انت مداعب خطير!».

ريدر قال ببراءة.

«هل تسمحين لي بأن اعرفك على جيمس دييجو راميري، مالك الباسيوديل ريو. جيمس اعرفك بالآنسة بريانا سانت كلير...».

«لقد تشرفت بمعرفتك». قال جيمس وهو يأخذ يد بريانا مسروراً بأصدقائه، دخلت هذه الأخيرة في لعبتهما.

«انا ايضاً اتشرف بمعرفتك».

ضحك جيمس بقوة اي انه على دراية بما تقصد.

«آه ريدر!». قال جيمس. «اعتقد ان هذه المرة وجدت المرأة المناسبة يا اعزائي الأطفال كل منكما وجد الآخر».

جمع الكلام بالحركة، اخذ الاثنين بين ذراعيه. انتظرت بريانا من الصحفي ان يمنع صديقه لكنه لم يفعل:

«هل انتم مستعدون؟».

«طبيعي انا مستعد».

«اعتقد انك تستحق ميدالية؟». قال ريدر.

«اوه أجل، لو سمحت! اريدها صغيرة جداً...».

«فضة ام ذهب؟».

«لا مانع عندي لو وجدت الاثنتين؟».

«انت كريم!».

«حسناً، في هذه الحالة، كلمة شكر تكفي...».

طرقه على اكتافه ثم اكمل بجدية، زاد بنبرة دافئة.

«اشكرك جيمس...».

«اتمنى لك سهرة لطيفة يا عزيزي».

التفت ناحية بريانا:

«انت ايضاً يا عزيزتي. وانتبهي على هذا الشخص، هل تعدينني؟ انه غال كثيراً».

«اسرعي بريانا والا سيروي لك قصة حياتي!». قال لها

www.elromancia.com

ريدر وهو يأخذها من يديها.

تبعته، لكن، كل المسافة التي قطعاها بين الطاولات كان لديها شعور غريب بأن تلتفت ثانية ناحية جيمس. ان هذا الرجل لا يضحك ابداً، عندما حددت المرأة الشابة ذاتها، استطاعت ان تقرأ بعض الفرح وبعض الشيء يشبه الصلاة...

«ماذا حاول ان يفهمني؟». قالت وهي تبتعد، لكن قلبها عنده...

وعد ريدر بريانا بمفاجأة ولم يخلف بوعده. بدلاً من ان يصطحبها الى احد طاولات المطعم، اصطحبها الى حافة المياه. بريانا اكتشفت طاولة موضوعة على الجسر، مزينة بباقة من الورد، وأحد العاملين ينتظرهم...

«هل هذا يعجبك؟». قال الصحفي بهدوء.

«انه رائع». قالت هذه العبارة وعيناها تلتمعان من الفرحة.

مد يده لمساعدتها لتتخطى الحافة، جذب لها كرسيها ثم أشار لسائق المركب. هذا الأخير أدار محركه وابتعد المركب بهدوء ليصل الى وسط النهر.

بريانا التفتت من حولها لتتأمل اضواء الباسيوديل ريو في الليل؛ لو عاشت مئة سنة لن تنسى هذه اللحظات...

«هل تود ان تأخذ بعض الشراب قال العامل لريدر؟».

غارقة في احلامها، الروائية نظرت الى مرافقها وهو يأخذ شرابه ثم حرك رأسه ليبرهن عن فرحه.

«انا سعيد لأن فكرتي اعجبتك...».

«انه جو رومنسي رائع».

«هذا ما يلائم كاتب الروايات العاطفية، أليس كذلك؟

واتمنى ان يعجبك الطعام الذي طلبته ايضاً».

«انا اكيدة...».

ريدر لم يزد شيئاً، جلس يتأمل مرافقته بهدوء.

بعد تأخير ساعة من الوقت، عاد المركب الى حافة النهر.

الحوار الذي جرى بينهم كان مهم جداً. لقد تكلما عن كل شيء، بريانا استطاعت ان تفهم نوعاً ما الصحفي. حتى الآن استطاعت ان تعلم بأنه احد عناصر فريق كرة السلة. كما شارك عدة مرات في سباق السيارات، وسنوات دراسته الجامعية هي أسعد لحظات مرت في حياته... عندما تركا المركب، لم يتوجها الى السيارة لكنهما فضلا ان يقوما بنزهة على طريق النهر. هذه المرة بديا وكأنهما عاشقان يدهما في يد بعض...

في السيارة تنهدت بريانا بسرور. هذه الليلة كانت رائعة، وكل ذلك بفضل ريدر...

أدارت رأسها، رأت مرافقها. في هذه اللحظة بدأ قلبها يطرق. لم تتوصل لمعرفة شعورها تجاه هذا الرجل، لكن هناك شيء عميق يربطها به...

عندما توقفا قرب المنزل، انتاب بريانا عصبية مفاجئة. ماذا تفعل؟ هل تطلب من ريدر ان يدخل لتقدم له بعض الشراب؟ كيف ستطرح عليه هذه الدعوة؟ لا تريد ان تعجز امامه...

بحظها، نزل الصحفي من السيارة، فتح لها الباب ومد لها يده وهو يبتسم ثم لحق بها دون ان يتلفظ بكلمة واحدة.

شعرت بلهيب، مشت على رؤوس أصابعها وأخرجت

المفتاح من حقيبتها. كل ما جرى لها في دالاس سيتكرر الآن بعد لحظات... لكن هذه المرة، أصابع بريانا ارتجفت ولم تستطع ان تدخل المفتاح في الباب، ريدر كان مجبراً لمساعدتها...

«هل تحب ان تأخذ فنجان قهوة؟». قالت له عندما أصبحا في الداخل.

اتجهت بخمود نحو المطبخ، لأنها ستصبح مجدداً معه لوحدها.

بعد ثوان لحق بها الى المطبخ.

«لم آت الى هنا منذ عدة سنوات. هل يزعجك ان القي نظرة في حين تنتهين من تحضير القهوة؟».

«لا... لا... ابداً». قالت ذلك وهي تكذب على نفسها.

وجود ريدر وتر لها اعصابها...

«قلت لي بانك لم تدخل هذا المنزل منذ زمن بعيد؟». تمتمت بهدوء.

«هذا الواقع».

«قال لي بول، بأن اهلك قد ماتوا، وتأثرت كثيراً من أجلك...».

قطب جبينه، ورسم علامة العجز والحزن.

«هذا قدرهم...».

«كيف حدث ذلك؟».

«حدث لهم حادث سيارة، بعد اصطحابهم اختي الى الجامعة. كان احد السائقين فاقد الوعي، اصطدمت السيارتين ببعضهما مما جعل أهلي يحترقون في سيارتهم».

«اوه، هذا مريع...».

«أجل». قال لها بحرقة.

«كنت مضطراً، انت بنفسك ان تخبر شقيقتك؟».

«أجل». قالها وهو ينزل رأسه.

«لقد كان ذلك مؤلماً بالنسبة لها». قالت بصوت خفيف.

«كثيراً...».

«وشقيقتك توفيت في السنة التي تلتها؟».

«أجل...».

«الواضح انها لم تكن كبيرة في السن...».

«كانت تبلغ ١٩ سنة».

«وكيف حدث ذلك؟».

فيما كان ريدر صامتاً. احمرت وجنتا بريانا. حشريتها تعدت حدودها.

«اعذرني، لم اكن اريد ان اطرح مثل هذا السؤال».

«ماتت فجأة. لقد كانت بالنسبة لي مجزرة حقيقية».

كلامه هذا كان بالنسبة لبريانا مريعاً، مما جعل فنجان القهوة يقع من يدها. وغرقت لبعض الوقت تفكر بالذي كتبه عنها ريدر. لا يمكن ان يكون شخص حساس كهذا قد كتب هذه الكلمات.

اقترب ريدر منها ليقطع عنها تفكيرها لبعض الوقت، ومسكها من اكتافها. نظرت اليه وعيناها غارقتان بالدموع.

«اوه، يا الهي... انا فعلاً متأثرة».

«لا، لا تتأثري. هذه القصة جعلتني متعسف معك. انا... ما كتبته عنك كان الحماقة بعينها، بريانا...».

نظرت اليه بتعجب. هل هي في حلم، ام هو يعتذر منها؟.

www.elromancia.com

هل كانت كتابتي جارحة؟». تمتم وهو يأخذ يدها بهدوء.

«لا شيء مهم...». قالت له وهي لا تزال تحت تأثير المفاجأة.

استدارت تجاهه، فوجدته يحدق بها ثم قال:

«لماذا لا نذهب الى غرفة الاستقبال؟ هيا بنا، وانا سأحضر لك القهوة».

اتجهت كالآلة الى غرفة الاستقبال، وجلست على الكنبة، ثم لحق بها الصحفي بعد لحظات قليلة. وضع القهوة على الطاولة وجلس بجانبها.

كانت بريانا بحاجة لفنجان قهوة لتستعيد نشاطها بعد ان سمعت قصة ريدر المحزنة.

«انا اطلب المعذرة منك... كنت مضطراً ان أروي لك ذكرياتي المحزنة».

«رويت لك ذلك بطيبة خاطر. لو لم اكن اريد ذلك لم اجبتك على اسئلتك».

«انت لست مضطراً لتعتذر عن... الذي كتبته». قالت بخجل.

«لم اكن اريد ان ازعجك لدرجة الاضطراب، الذي جعل فنجان القهوة يقع على الأرض». تابع حديثه...

«ان هذا يسبب لي ألم».

«مرة اخرى، اريد ان اطلب منك السماح».

اقشعرت بريانا ورمقته بنظرة.

«هل انا هذه الليلة مزعج؟».

«لا...».

«حسناً...». قال ذلك وهو يقترب منها.

بريانا لم تتحرك، وقلبها بدأ يطرق بسرعة. كانت على علم بأنه سيحصل شيء ما بينهما، لقد قرأت ذلك في عيني ريدر...

عندما اقترب منها محاولاً تقبيلها لم تستطع ان تمنعه. لكنها لم تنسى الذي حدث في دالاس. شعر للحظة انها تريد الابتعاد عنه. كانت تريد ان تضع حداً لهذه القبلة، قبل ان يفوت الأوان. للحظة لم تعد تستطيع ان تمنع قوته عنها. كان يجب عليها ان تفلت من يديه. لكن كيف...

«بريانا، ارغب ان اقبلك، هل لديك نفس الرغبة؟».

أحست بأن أصابع ريدر غرزت في اكتافها وفهم من تصرفاتها انها ترفض ذلك.

«اعتقد، انه من الأفضل ان اذهب من هنا، أليس كذلك؟».

لن تقول اية كلمة. لأنها لم تستطع ان تتلفظ بكلمة واحدة. كانت تحب ان تناديه بصوت عال بالبقاء. لكن لو سمحت له بالبقاء هذه الليلة ماذا سيحدث غداً؟ هل يكون ايضاً مندفعاً لرؤيتها؟.

وقفت، وتبعت صديقها حتى الباب. هنا نظرت اليه وابتسمت ابتسامة صغيرة.

«اشكر لك دعوتك على الغداء... واشكر لك النزهة في المركب...».

«انا ايضاً، اشكر لك مرافقتك لي...».

بقي للحظات قليلة، ثم غاب عن الأنظار.

هذه الليلة، بريانا وجدت صعوبة في النوم، لم تستطع ان تحافظ على هدوئها لأن كل أفكارها طرأت هذه الليلة.

متى ستراه ثانية؟ لم تأخذ رقم هاتفه لأنها كانت بداخلها

ترفض فعل كهذا.

آه، ماذا سيفعل بها هذا الرجل! هذه المرة الأولى في حياتها التي تقابل بها رجل ما وتتمنى ان تنشأ بينهما قصة حب... لكن! ما هو شعور ريدر تجاهها؟.

الى اين ذهبت أفكارها؟ ان معرفتها بريدر لم تتخطى الأسبوع. يجب عليها ان تنتظر بعض الوقت، ربما تغيرت آراؤها.

«نعم يجب ان انتظر». قالت ذلك بعصبية وهي تضع يديها على اذنيها.

«يجب علي ان اختبر مشاعري...».

في الأسبوع التالي غرقت بريانا في عملها. كانت تمضي اكثر وقتها في المكتبة في الوسط الزراعي، واستطاعت ان تحظى بمعلومات تهمها في كتابة روايتها المقبلة.

اما ريدر فلم يخصصها بشيء في حياته... الرابط الوحيد الذي كان يربطها به هي التواريخ اليومية في السون.

يوم السبت صباحاً، كانت بريانا تأخذ فطورها، عندما قرع جرس الهاتف. قامت بسرعة، هل يمكن ان يكون ريدر؟.

اخذت سماعة الهاتف بلهفة.

«بريانا؟». انها انّا... «كيف حالك؟».

للأسف لقد نسيت عائلة دانيال! كان من المفروض ان تتصل بهم منذ وقت طويل...

«انّا!». صرخت بفرح. «انا بخير... وانتم؟».

«نحن ايضاً بخير»، أجابتها انّا بدعابة. «لم اكن أكيده من

رقم هاتفك».

«كان علي انا ان ابادر بالإتصال بكم. لكنني منساقة كطفلة: لم يكن لدي الحق بأن اتهمكم بمسؤولية الذي حصل مع ريدر».

«كم انا مسرورة لسماع هذه الكلمات. انا وبول كنا في غاية الحزن! كنت تعتقدين بأننا خدعناك، لكن لم يكن هذا هدفنا. هل تحققت الآن؟».

«على الاطلاق... فلننسى هذه القصة، ممكن؟».

«مئة مرة ممكن! قالت انّا بفرح. «لم لا نتناول غداً طعام الغداء سوية؟ هل نستطيع ان نمضي فترة بعد الظهر معاً؟».

«ستكون فكرة رائعة! في اي وقت آت اليكم؟».

«نحن نتناول طعام الغداء الساعة الثانية، لكن يمكنك المجيء ساعة تشائين. سأحضر الستيك للغداء، وسأصنع لك البوظة لفترة بعد الظهر...».

«رائع! دعوتكم تسعدني، انّا... انت وبول أصدقائي الوحيدين في هذه المدينة».

«شكراً لهذه الكلمات... سأنقلها بدوري لزوجي، لأن هذا يعجبه. كنا خائفين من عدم رؤيتك ثانية».

«استودعك الآن... سأتحضر للغد!».

في صباح اليوم التالي، استيقظت بريانا متأخرة. منذ ان تناولت ذلك الغداء مع ريدر والقلق لم يفارقها. تبقى ساعات الليل الطويل تطرح الأسئلة على نفسها. كانت تتساءل اذا كان حقاً ريدر في خطر، حسبما قال لها بول. ثم تساءلت ثانية: لماذا فشل في زواجه؟ من تشبه تلك التي كانت زوجة له؟ وخاصة... هل هو الآن يحبها؟.

قرابة الظهر خرجت بريانا من منزلها. تجولت قليلاً في شوارع المدينة، ثم توقفت بقرب بائع للورد لتختار لأنّا بعض الورود. ثم اتجهت الى منزل عائلة دانيال. كان الوقت مبكراً جداً لكن انّا قالت لها بأن تأتي في الوقت التي ترغب به.

أوقفت سيارتها، في حين رأت في الجهة الأخرى من الشارع سيارة ريدر! هذه المرة كانت ترقص من الفرح...

لم يتصل بها، لم يأت لزيارتها، لم يكن يريد ان يعرف اذا كانت تحبه، لكن كل هذا لا اهمية له. كانت فقط فرحة لرؤيته ثانية...

قلبها يطرق، زاد لون عيناها خضاراً. نزلت من محركها وقرعت جرس الباب. بشعرها الطويل، سروالها احمر قصير، وقميص أبيض، كانت تبدو جذابة... فتحت لها انّا الباب، كان واضحاً بأنها فريسة لإضطراب حي.

«بريانا... ريدر هنا، لم انجح بأن اجعله يخرج!».

فعلت بريانا جهدها بأن لا تجعل فرحها يظهر.

«لا تنزعجي، وجود ريدر هنا لا يزعجني...». قالت لها ذلك بصوت طبيعي بعض الشيء.

نظرت اليها انّا بدهشة.

«هل انت اكيدة؟».

«طبعاً... تفضلي، هذا لك». قالت لها هذه العبارة وهي تمد يدها يدها تحاول تقديم الورد لأنّا.

«آه... شكراً جزيلاً».

«الاثنتان اتجهتا الى غرفة الاستقبال. هذه المرة لم تستطع بريانا ان تمنع نفسها من النظر الى الصحفي من النافذة.

«الرجال في الحديقة». قالت انّا، ولا يزال تأثير المفاجأة واضحاً عليها.

«هل يمكن ان تخبريني بالذي غيرك هكذا؟».

«سأضع الورد في الماء». قالت بريانا محاولة الهروب من سؤال انّا.

«هناك مزهرية على البراد».

«حسناً، لا تزعجي نفسك، استأذن لثوان لأحضرها».

اخذت الورد من انّا واتجهت الى المطبخ. اخيراً، تستطيع من هنا ان ترى ريدر. لقد كان مع بول قرب موقف السيارات، يتفحص سيارة دانيال.

«هل وجدت الزهرية؟». قالت لها انّا من خلفها.

عادت بريانا من سهوها. لقد نسيت بأنها تركت المياه مفتوحة لبضع دقائق. ومن الطبيعي ان تكون الزهرية قد تدفقت من الماء.

«آه... أجل... شارفت على الانتهاء».

«هذا ما أرى...».

عندما عادت بريانا الى صديقتها كانت قد احمرت وجنتاها.

في هذه اللحظة، وصل الرجلان وتفاجأ بوجود بريانا.

«يومك سعيد!». صرخ بول، كم انا سعيد لوجودك هنا.

«انا بدوري اعتز بهذه الدعوة...».

بدأت ضربات قلبها تتزايد، استدارت نحو الصحفي. جامد في مكانه، رمقها بنظرة شاملة. ساقيها الطويلان، طولها، قميصها.

«يومك سعيد، ريدر... لم اكن اتصور انني سأجدك

هنا...».

«وانا ايضاً...».

بعد صدمته القوية، اقترب ناحية انّا وداعبها بوجنتيها.

«الآن فهمت، لماذا لم تكف عن سؤالي، ان كنت قد تأخرت ام لا...». قال لها.

احمرت وجنتا انّا.

«كيف استطيع ان احذر، بأن الأشياء قد تغيرت بينكما؟». قالت انا. «المرة الأخيرة التي التقيتما تحت سقف بيتي، لم يكن بينكما لا ود ولا وفاق!».

«من منكما عذب الآخر...».

بريانا كانت تفضل ان لا تسمع. كانت تفضل ان لا تعلم اذا كان ظالم، ام لم تكن لديه هذه الصفة...

«حسناً». قالت انّا. بما انكما قد انهيتما مشاكلكما، لم لا تأخذ معنا طعام الغداء؟».

«اعتذر منك، انا على موعد هنا بعد عدة دقائق من الآن، لكن اذا اردتم انتظاري فلا مانع عندي...».

«طبعاً!». قال بول. «هيا اذهب وارجع بسرعة قبل ان نموت من الجوع!».

اعدك بأن لا اتأخر، سأعود على الفور». قال ذلك وهو يتجه ناحية بريانا.

«هيا، اذاً بسرعة». قالت بريانا.

هل كانت تحلم، ام ان بريق عيني ريدر كان حقيقياً؟ هذا الوعد اشعل شرارة بقلب بريانا...

عندما خرج، شعرت فجأة بأنها ضاعت...

صوت انّا، اعادها الى الواقع.

«ما رأيك بأن تأخذي معي بعض الشراب، حتى ينتهي

بول من تحضير الستيك».

حركت رأسها بمعنى القبول، بريانا تبعت مخاطبتها. جلست الاثنتين على كنبة فخمة يتناولن العصير. وتنهدت بريانا بفرح، وأغمضت عينيها للحظات...

«ما هو شعورك تجاه ريدر؟». قالت انّا فجأة بصوت هادىء.

تفاجأت بريانا لهذا السؤال، لدرجة ان كوب العصير كان سيقع من يدها.

«انا... انا لم افهم ماذا تعنين...».

ضحكت انّا.

«بريانا، انا لست غبية...».

«لكن، انا...».

«كوني اكيدة، انت لست مضطرة بالإعتراف لي. في حين، احب ان تستمعي الي للحظات...».

توقفت للحظة، كما وكأنها تريد ان تجمع افكارها، ثم تابعت بصوت متردد:

«ريدر، هو شقيقي، وانا اعرفه جيداً... ولهذا اطلب منك ان تكوني قاسية معه... انه مختلف تماماً عن الرجال الذين صادفتهم في حياتك. انه... قادر على اعطاء الحنان لكل النساء التي تتقربن منه...».

«ألم تسرحي له شعره في بعض الأيام...».

«اوه، ان هذا بعيداً عني، لم أبحث له بشعره!» تنهدت انّا بحزن. «ان حبي لا نهائي كما انني اكن لك في قلبي معزة ايضاً... للأسف، ريدر اخترق الصعاب، وجروحه لا تزال تنزف...».

«ما معنى ذلك؟». قالت بريانا وهي تكتم انفاسها.

«والآن... هل تعلمين بأنه كان متزوجاً؟».

حركت بريانا برأسها.

«زوجته كانت وباءً حقيقياً، كانت دائماً تسخر منه ولا تقوم بخدمته اثناء مرضه ابداً. الكل كان عندهم ضمير، لكن ريدر كان يرفض ان يفتح عينيه. كان صغيراً: اثنتي وعشرون سنة على الأكثر.».

«هل دام زواجهم طويلاً؟».

«ست سنوات... جعلت حياته جحيماً... كنا دائماً نتساءل، كيف استطاع ان يتحملها».

استعادت انّا ذكرياتها، ثم تابعت حديثها:

«افترقا اخيراً، لكن ريدر خرج من هذه التجربة كالأموات. اختفى أهله فيما بعد، ثم شعر بأنه المسؤول عن موتهم. كانت العادة ان يقوم هو باصطحاب شقيقته الى الجامعة. احد المقابلات التي كان يجريها منعته من الذهاب في ذلك اليوم، فذهب والداه. عندما تركت ميليس الدنيا بدورها، اعتقدت ان ريدر لن تعود اليه الحياة ثانية. لا اريد ان ادخل في التفاصيل، لكن ريدر استطاع ان يخرج من هذا الوضع الدرامي».

بريانا، كانت مصغية اليها بسكوت، عيناها تتلألآن بالدموع. لم تكن تريد ان تقول لمخاطبتها بأن ريدر قد روى لها هذه القصة المؤثرة.

«منذ هذا اليوم، بدأت قساوته...». اكملت انّا. «ويبدأ يستعمل هذا الأسلوب في كتاباته، وفي حواره معنا ايضا. ومنذ ذلك الوقت قلبه لم يطرق تجاه مطلق شخص...».

«انا اعتذر لقولي لك هذا بريانا... لكنني اريد ان اضعك في الجو. وأطلب منك ان تتحاشي دموعك

امامه».

بريانا لم تجيب، لم تكن تعلم ماذا ستقول... انها في بداية حبها لريدر، لكنها تستطيع ان تمحيه من ذاكرتها.

لهذه اللحظات، تذكرت نظرات ريدر التي لن تغيب عن مخيلتها...

عندما رجع ريدر كانت بريانا في المطبخ مع انّا يتحادثن بفرح، وتساعدها بتقطيع البندورة، شعرت بوجود احد بجانبها.

دون ان تلتفت، علمت من هو صاحب هذه الحرارة التي تلتهب في جسمه. بدأ قلبها يطرق، طرق السكين لمس يد ريدر...

«ايه، كوني اكثر انتباهاً!». قال ريدر وهو يسرق قطعة من البندورة. «أرغب بتحضير هذه المأدبة معكم لكن...».

كان يجب عليها ان تتقبل حقيقته، كما يجب عليها ان تتحمله ايضاً دون ان تتذمر.

«ان كنت ترغب ان تبقى على قيد الحياة. لا تقترب من هنا!». قالت له بتهديد مازح.

ضحكوا بقوة، توجه الى انّا التي كانت تنظر اليهما بانتباه.

«هذه البندورة لك... ياعزيزتي. هل استطيع ان التهم قطعة اخرى؟».

رسمت على وجه انّا علامة تشير انها لا ترغب باعطائه قطعة اخرى.

«لو كنت مكانك، لخضعت لرأي النساء...» قالت له. «لأنهن مسلحات».

ريدر وجه نظره ثانية ناحية بريانا.

«لا بأس، احب ان اكون في خطر». ثم اخذ قطعة اخرى وأكلها. دون ان يترك فرصة لأن يردعانه، ابتعد بسرعة وهو يضحك...

فترة بعد الظهر مرت كالحلم. بدأت الشمس تختفي وراء الغيوم عندما قامت انّا وبريانا الى المطبخ لتنظيف الأواني. اما الرجال فتوجهوا الى الحديقة.

عندما انتهت بريانا من تنظيف الأواني، لاحظت فجأة بأن انّا تسمرت على كرسيها.

«هل تشعرين بألم؟».

«انا احسن من اللواتي ينتظرن مولوداً خلال لحظات».

ارتجفت بريانا.

«خلال لحظات؟ أعادت بجنون. هل تشعرين بآلام الولادة؟».

«أجل... لقد بدأ الألم خفيف، ثم بدأ يقوى ويتقارب...».

«لمَ لم تقولي لي منذ وقت مبكر؟».

«بريانا...». تنهدت انّا بضعف. «دع هذا الجدال لما بعد، اما الآن لو كنت تودين مساعدتي، ارجو منك ان تحضري لي الماء الساخن. فسوف نحتاجه بعد قليل...».

هذه الكلمات وترت بريانا.

«بول!» فتحت النافذة ونادته. «ادخل لو سمحت! يبدو ان انّا ستضع!». دخل بول بسرعة واتجه الى زوجته. نظرت انّا الى زوجها، نظرة مفعمة بالحب.

«لقد حان الوقت اخيراً... يا عزيزي».

تغير بثوان قليلة، كما وكأن هناك شيء ما على رأسه. وجهه أصبح شاحب. اخيراً استعاد توازنه وقال:

«سأحضر لك امتعتك...».

«غاب للحظات، ثم احضر حقيبة صغيرة في يده.

«هل تستطيعين ان تمشي حتى نصل الى السيارة؟». قال لها بصوت مضطرب.

«أجل... طبعاً...».

«حسناً، سيكون من الأفضل ان نذهب الآن، أليس كذلك؟».

«ان هذا عين العقل...». قالت له بابتسامة مليئة بالحنان.

ساعدها على الوقوف، وأسندها اليه. فعل ذلك ثم التفت ناحية ريدر وبريانا...

«هل انت متأكد من قدرتك على القيادة؟». قال الصحفي.

«أجل...».

«حسناً، سنلحق بكم الى المستشفى»، ثم داعب انّا بحنان.

عندما خرجا الى المستشفى، التفت ناحية بريانا.

«ليس من المعقول ان نأخذ سيارتان، أليس كذلك؟ على كل الأحوال، سأصطحبك...».

لقد تعذبت انّا كثيراً اثناء عملية الوضع، لأن هذا هو مولودها الأول. ريدر بريانا وبول، كانوا في غرفة الانتظار متوترين. ثم دوت صرخة فرح.

«انها فتاة! انّا انجبت فتاة».

«لا بد انها جذابة». اكمل وهو يأخذ يد بريانا. «ان

اطفال انّا لا بد ان يكونوا فاتنين». لأنه كان يأخذ بيدها طوال فترة الحمل. لم يكن يتصور ابداً بأنه سيرى احد اطفاله». انه اجمل يوم في حياته...

«هل نستطيع ان نرى الطفلة ريبيكا؟ ام لا». قال ريدر.

«انه هو: ريبيكا...». قالها بول بنغم.

الطفلة الصغيرة كانت أجمل من الوصف. انها نائمة. شعرها اسود، علامة صغيرة على فمها، انها ألطف من الورد.

«لا أصدق بانه أصبح عندي طفلة...». تمتم بول. «هذا الصباح، كنا انا وانا وحدنا والآن...».

بدأت دموع بريانا تنزف من عينيها لسماعها هذا الكلام. كانت فرحة جداً لعائلة دانيال! ثم كيف يمكننا ان لا نشعر تجاه هذه الحياة الجديدة التي ستبدأ امام هذه الطفلة النائمة؟.

بعد قليل، ذهب الجميع الى انّا، الكل قبلها.

كانت فرحة جداً، وتبدو اكثر جمالاً من قبل. اما بول فكان ظاهراً عليه عبادتها.

في المساء، خرج ريدر وبريانا من المستشفى في السيارة، كانت بريانا لا تستطيع ان تتنفس من التعب.

«كان يوماً طويلاً، أليس كذلك؟». لاحظ ريدر.

«خاصة بالنسبة لبول وانّا...».

«أجل... فأنا اشكر الرب لنعمته عليهم».

«وانا ايضاً...».

«لماذا؟ فأنت في بداية معرفتك بهم».

تغيرت للحظة قبل ان تجيب. كانت عصبية جداً عندما لاحظت انه يختبرها.

«لديك الحق». أجابته. «في حين... نستلطف بعض الأشخاص ونحبهم في وقت قليل ونتمنى لهم الخير».

«بأن تقدمي قلبك للناس بهذا الشرف، فأرى بذلك مخاطرة قاسية وممكن ان تجرحك». تمتم بسكون.

«هذا صحيح». أجابته. «لكن لو قاطعنا العالم لمثل هذه التصورات، فإن حياتنا تصبح مشابهة لصحراء قاحلة...».

رأت أصابع ريدر وهي تطرق باضطراب على المقود. بدأ قلبها يطرق وانتظرت. كانت انّا قد شرحت لها كيف هذا الصحفي اغلق القساوة على نفسه وعلى الغير؛ للأسف، شعر بأنه هو الوحيد التي تقصده من خلال كلامها.

«بريانا... لم تكون ابداً قاسية في حياتك، أليس كذلك؟».

«لا...».

«في هذه الحالة، فانت لا تعلمي عما تتكلمي».

«وانت؟». وجهت اليه نفس السؤال.

كانت تفضل بأن لا تعلمه بأنها على دراية بأن سنوات زواجه كانت مؤلمة.

«انا؟». أجابها بابتسامة شاحبة. «انا اعلم عن ماذا اتكلم...».

«هل لديك رغبة بالمحاورة معي؟».

لم تطرح عليه هذا الموضوع بدافع الفضول؛ كانت فقط تشعر بأنه بحاجة لأن يخفف عن نفسه.

«لا...».

رمقته بريانا بنظرة سرية. تحول وجه الصحفي لخشن

فجأة؛ نصف مدار للذي يحمله من أسى، كان يبدو عليه وكأنه تبلل من قطعة ثلج.

«في بعض الأحيان، يكون ملائم ان نؤمن لشخص ما». قالت له بهدوء.

«عندما نكون عائشين كالأموات لسنوات عدة، فليس لدينا شيء نخبره».

«هل سيكون ذلك فظيع؟».

«انت تحبين ان تكوني محللة نفسية، أليس كذلك؟». رد عليها دون ان يجيبها على سؤالها.

«لا، لكن احاول ان افهم الأشياء المشابهة».

«وهل تتوصلين لشيء ما».

«ماذا تريد ان تحدد؟». سألته بنبرة حزينة.

«هل حلمت مثلاً بأنني اخاطر لتعذيبك؟».

نقص قلب بريانا بعض الطرقات، لكنها شددت على اسنانها لتمنع ظهور الاضطراب عليها.

«انا لا اسمح لك بذلك...».

«الاختيار ليس بيدك...».

«لاحظي بأنني لست مولوداً البارحة. واعلم جيداً بالطرق التي أجعلك تضطربي بها من لمساتي».

قفزت المرأة الشابة من مكانها، كما وكأنها تلقت صفعة.

«لن أدعك تفعل ذلك».

«انت جميلة جداً...».

«هذا ليس سبباً كافياً!».

«انت من يقول ذلك...».

«في هذه الحالة، هل تعتقد بأن ذلك ليس بالنسبة لي

ايضا؟ انت ايضاً جميل!».

«شكراً». اجابها وهو يرمقها بنظرة عبادة.

«لا يوجد ماذا؟».

بقيا لبعض الوقت صامتان، ثم تمتم الصحفي.

«هل تريدين ان نبحث قياساتنا اللامعة».

«عفواً، حدقت به».

بريانا اضطربت بعصبية من مكانها، احست كأنه يريد ان يضعها تحت الاختبار.

«انا... انا...». قالت بحزن.

«شفتي على بعد عدة خطوات من هنا...».

بلعت ريقها بصعوبة. ما هو الرد الذي تنتظره على هذه العبارة المبهمة يا سيد؟».

«اعدك بأن لا اكتب عن الذي يجري بيننا». تابع بصوت عذب. «بشرط ان تفعلي ما اطلب منك...».

حتماً، كان يعتقد بأن مشاهد الغرام التي تكتبها في رواياتها هي ناتجة عن اختباراتها! منذ بداية علاقتهم، كان يهاجمها كالوحش... على اعتقاد بأنها قد مر عليها الكثير من المخاطر!.

فتحت فمها، لتضله، عندما احست بأنه يستعجل الأمور.

«ريدر، انا...». تمتمت قبل الأوان.

«ماذا؟». قاطعها بنبرة ساخرة. ألم تقولي لي بأنه يجب الاقتراب من الآخرين دون ان نحاول تجريحهم؟».

«أجل، لكن انا...».

«ألم اعدك؟».

«أجل!». قالت له بصوت منخفض.

«يبدو انني ارتكبت بعض التضليلات المحتومة». قالت بضيق.

حتى الآن، كانت دائماً محقة وحكيمة. ما هذه الفرحة التي جذبتها؟ لا شيء... منذ ان قابلت هذا الرجل، لم تكف عن ترديد بأنها لم تشعر بأي شيء داخلي تجاهه. لم تقابل في حياتها ولا شخص استطاع ان يحرك مشاعرها بهذه الطريقة، وكانت تريد ان تكشف الحب معه هو. فيما بعد تستطيع ان تكتشف بنفسها ماذا يريد هو منها... على الأقل، هي تتمنى ذلك... أسئلة كثيرة غير متميزة! راودتها في أفكارها. لم يكن هناك المزيد من الوقت للتفكير لتزين هذا مقابل ذلك. الوقت جاء لنعيشه...

منزل ريدر كان يقع في وسط مباني سان انطونيو الفخمة. كان كبيراً اما بالنسبة لهندسته الداخلية فكانت لبقة.

بريانا تأملت غرفة الاستقبال، ونظرت الى اللوحات المعلقة على الجدران.

«منزلك جميل جداً». قالتها وهي تحاول الجلوس على احدى الكنبات المصنوعة من الجلد.

رفع اكتافه محاولاً اظهار اللامبالاة.

«نعم، هذا ليس سيئاً... ماذا تحبين ان تشربي؟».

«بعض العصير لو سمحت...».

كانت تشعر انها بحاجة لبعض الوقت لتستعيد نشاطها.

رفع رموشه بصعوبة.

«هل اختار لك نوع العصير، هذا لو كنت تسمحين؟».

«لا مانع عندي».

بعد غياب دام بضع دقائق لتحضير العصير، عاد ليجلس

امام المرأة الشابة وهو يمد لها كوب الشراب بيده. مدت يدها لتأخذ كوب الشراب من يده، وكانت مساعدة الرب لها كبرى الذي جعلها تستطيع ان تخفي اضطراب يديها...

تأملها ريدر بسكوت. عيناه حدقتان في ساقيها السمراوين، في شفتيها وبلوزتها...

«لقد قرأت كتابك». قال لها بنبرة فجائية.

«أجل اعلم ذلك...».

ضحك ضحكة معذرة.

«أين رأسي؟ لقد كتبت عنه... على كل الأحوال، لقد اعجبني كثيراً».

«هل هذا يزعجك؟».

«في الحقيقة، أجل...».

«لماذا».

«لأنني لم اقرأ في حياتي روايات عاطفية مشابهة».

«بسبب اوهامك؟».

«لا... فقط لأنه لم تتح لي الفرصة بأن اتصفح هذا النوع من الانفتاح».

«وكيف تقومها؟».

«تجدين بكتابتك الطريقة التي تلمسين بها الكلام».

«ما ينطق به صحفي، لا يكون سوى مجاملة!».

«هذه واحدة...».

«في هذه الحالة، ستصبح احد قرائي؟».

«بالتأكيد...».

انهى كوبه ووضع الكأس على الطاولة.

«هناك شيء ما، كان دائماً يفاجئني...».

«ماذا هناك ايضاً؟».

«الباسلين والباسلات هل هم أوفياء لبعضهم البعض....». تمتم هذه الكلمات وهو يداعبها بشعرها.

«انهم دائماً شخصياتي التي اكتب عنهم. احاول ان اضعهم دائماً كعاشقين مخلصين، لا تنسى ذلك...».

«الله يعلم، اتصور انه بهذا النوع من الأدب، يجب ان يكون هناك نوع من الخيانة، لإثارة القراء...».

«مرة اخرى، اقول لك بأنك مخطىء... عندما نحب شخصاً ما من صميم قلبنا، كل العالم لا يعني لنا شيء...». انزل يده الى ظهرها، وداعبها بحنان.

«الا يعجبك احد الأشخاص في بنسلفاني؟».

«قلت لك ذلك... لا احد ينتظرني سوى قط، انه صديقي الوحيد...».

«في الحقيقة لم اصدق، ان ذلك لا يمكن توقعه...».

«و... وانت؟». قالت له، هل انت مرتبط بأحد؟».

«لا».

«هذا لا يمكن تصديقه».

غير مبال، رفع اكتافه.

«لا احد يهمني، خاصة بالنسبة لهذا الموضوع. على الأقل... همني هذا الأمر حتى تاريخ معين...».

نقص قلب بريانا بعض الضربات. الوقت التي كانت تخافه قد حان... اقترب ريدر منها، محدقاً نظراته الزرقاوين في عينيها...

يا الهي، يبدو انها ستغرق في عينيه الساحرتين الأكثر عماً من بحيرات الجبال...

لكن لا، انه هنا لينقظها، شفتاه؛ برقه؛ لا شعورية،

يعيدانها للحياة، يحملانها لعالم آخر حيث لا تغيب فيه الشمس... وأصابعه الطويلة يشعرانها باضطراب الأمر الذي يجعل كل شريان في جسدها يشعر بالحنين.

دون ان تشعر بما هي فاعلة، رمت نفسها اليه وأخذت تقبله بحرارة... اندفاعها سبب بخط مفاجىء تجاه ريدر. أخذ يدها بلطافة وبدأ بمداعبتها.

رفع رأسه وتأملها.

في هذا الوقت بدت نظراته أكثر سواداً من الليل...

«انا أريدك، بريانا سانت كلير». قالها بصوت مبحوح.

مدهوشة، حاولت من جديد ان تستعيد توازنها تجاهه. فمها هو الوحيد القادر على تخطي هذه الحرارة الذي سببها لها...

فجأة، جذبها، وتوجه اليها.

«اقتربي». تمتم، غرفتي فوق...

بقيت بريانا للحظات جامدة غير قادرة على الحركة. أخيراً احمرت وجنتاها، مدت له يدها بخجل.

ساعدها لتقف، وأسدل لها اكتافها بحنان.

«انت جميلة جداً...».

مدهوشة، تبعته على السلم، لو قالت له بأنه ليس لديها أية خبرة لن يصدق.

«اندفاع!». قالت بينها وبين نفسها. «ليست الحياة أكثر من بعض الاكتشافات: أول كلمة، أول خطوة، أول قبلة. لمعرفة الحب يجب ان نضع رجلنا على احدى هذه الخطوات. هذا الرجل هو الذي انتظره...».

عندما وصلا الى الغرفة، أرشد ريدر صديقته الى سريره الواقع في وسط الغرفة.

بريانا اضطربت. يا الهي ما الذي لا يجب عليها فعله لتخوض تجربة الباسلات التي تكتب عنهن في رواياتها!.

«ماذا بك؟». قال الصحفي وهو يرمقها بنظرات قاتلة.

«هل هناك شيء ما على غير ما يرام؟».

«لا». قالت له بصوت ضئيل.

يبدو ان اجابتها أفرحته، لأنه نظر اليها مجدداً وابتسم لها بحنان.

بدأت المرأة الشابة تتجاوب مع مداعبة ريدر لها لكنها عندما شعرت انه تعدى حدوده نفذ صبرها.

أبعدته عنها، كانت يداها مرتجفة وشعرت انها مسيّرة كآلة لم تستطع ان تضبطها...

كانت تنهدات ريدر قصيرة عندما نظر اليها بدهشة.

«هل تريدين ان تقولي لي بتصرفك هذا بأن لحيتي أزعجتك؟». تمتم أخيراً.

«انا... انا...».

الأحسن! لا كانت كالبلهاء فقط، لكن الأكثر من ذلك، كانت غير قادرة على التعبير ولو بكلمات قليلة!.

«هل تريدين ان تعيدي لي نقودي؟». قال لها بعنف.

نظرت اليه دون ان تفهم ماذا يود ان يقول.

«بسبب تلك السهرة في دالاس...». شرح لها.

«عندما تركتك وذهبت».

فتحت فمها محاولة القول له بأنه مخطىء في حين لم يترك لها الوقت بأن ترد.

«أجل هذا هو السبب! اما بالنسبة لهذه الليلة فنحن الاثنين نعرف ماذا نود ان نفعل. قلت لك بوضوح بأنني أرغب بتمضية هذه الليلة معك، وانت لحقت بي دون

تردد. اذاً فلنكف عن لعبة القط والفأر...».

هذه الكلمات علقت في ذهن بريانا بكآبة. بهدوء ورغماً عنها بدأت ترجع نحو الباب...

«الا تخافين مني؟».

أسدلت رأسها بخجل، اوه، لماذا هي بلهاء لهذه الدرجة! انها ترتجف كالورقة...

«بلى، انت تخافين مني. أشعر بأنك ستجنين...».

غرز أصابعه في جسد بريانا.

«هذه أول مرة؟».

رفع اكتافه غير مبال، كما وكأنه يتعامل مع احد الحيوانات.

«لا، غير معقول... لا تستطعين ان تبدعي بمشاهد الحب التي تصفينها في كتبك...».

قطع كلامه ثم حدق بنظرة نحو بريانا، كما وكأنه يبحث عن الحقيقة في عينيها.

«مرت عليك اوضاع كهذه، أليس كذلك؟».

غير قادرة على الكلام، حاولت ان تلفت رأسها، لكنه مسكها من قميصها ليجبرها الى النظر اليه.

«أليس كذلك؟». أعادها مرة أخرى.

فجأت بدت الدموع في عيون بريانا. لماذا يعنفها هكذا؟.

«لا». أجابته أخيراً بتنهيدة.

«مقدرة الهية...».

بقي متوتر بعض الوقت، كما وكأنه ضرب بمطرقة، ثم دفعها عنه بقوة. وكأن جسم بريانا تحول فجأة الى نار تحرقه...

«لماذا لم تقولي لي شيئاً؟». قال لها بعصبية.

«ماذا علي ان أفعل، كل ما يحلو لك؟ هل اكتب حول عنقي بأنني عذراء؟».

ارتسمت على شفتيه ابتسامة فرحة.

«ان ذلك يكون حسب التشريعة!».

«تجاه من؟».

«تجاه الرجال الباسلين...».

«الشيطان يحمل كل شيء!». قالت بصوت مضطرب من الغضب.

دون ان يرد، اتجه الى خزانته وأخرج قميص وأعطاها اياه.

«تفضلي، ضعيه على جسدك، لو سمحت...».

احمرت وجنتاها خجلاً.

«شكراً...». أجابته وهي تضع القميص على جسدها.

«هيا بنا، لنخرج من هذه الغرفة...».

رفعت بريانا رأسها بقوة، لم تكن ترغب ان تترك كلمة الصحفي الأخيرة!.

«والآن ماذا حدث؟». رمت كلماتها بقوة. «الآن بما انك عرفت سري المخيف هذا فأريد ان أوضح لك بعض الأمور بكلمة واحدة لا شيء يهمني؟».

نظر اليها نظرة دهشة. لماذا تكلمه بهذه الطريقة! ولماذا غيرت رأيها؟.

«أجل...». تمتم. «فلنقل فقط بأننا لم نختار الوقت المناسب...».

«حقاً؟». تابعت. «وكأن ابليس دفعها. اذا كانت براءتي تزعجك، أستطيع ان أتدارك الأمر. لن أجد أي صعوبة في

ان أشرك أحد لمعرفة سري!».

«هذا ما تتمنين؟».

«في الحقيقة، لا...».

«اذاً، لا تفعلي ذلك. على الأقل لا أريد ان يكون ذلك بسببي» هذه الجملة جعلتها تغضب. كأنها تعني: ليس لدي اية رغبة بأن يكون لي أي دور في حياتك...

عندما رجعا الى غرفة الاستقبال، لم يضايقها وجود أمتعتها ملقاة على الأرض. أخذتها في حين كان ريدر يمتع نظره بها.

«لا، لن أخجل». قالت هذه العبارة بينها وبين نفسها. «هذا يكفي لهذا اليوم».

«أين أستطيع ان أبدل ملابسي؟». قالت بقساوة.

«هنا...». قال لها مشيراً الى غرفة الطعام.

عندما انتهت من تبديل ملابسها، اتجهت ثانية الى ريدر. كانت تشعر بقساوة... ريدر لم يسخر منها؛ لكنه تفاجأ، وغضب لكنه لم يضحك...

يا الهي، لحسن الحظ انه لم يضحك بقوة!.

استطاعت ان تبرهن قوتها عندما خرجت دون ان تبدي أي ملامح ضعف على وجهها.

«انا جاهزة». قالت له ببرودة.

«حسناً، هيا بنا...».

في الطريق جلس الاثنين صامتين. الصحفي أوصل بريانا الى منزل عائلة دانيال في المكان التي تركت به سيارتها. بعد ان سلم عليها بيده، اقلع واختفى في نهاية الشارع.

دخلت المرأة الشابة الى غرفتها، خالية الذهن. كان

يجب عليها ان تمحي هذه الليلة من مخيلتها، لكن تنسى كل شيء مستحيل... فهي تعلم بأن هذا لن يحصل أبداً...

في بحر الأسبوع المقبل، كانت بريانا قد انكبت على عملها بنشاط وفرح. للأسف لم يحالفها الحظ في ايجاد بعض المعلومات التي ستخص بها مؤلفها الجديد. الصعوبات التي واجهتها زادت عذابها... حتى زيارتها لعائلة دانيال وللطفلة ريبيكا لم تخرجها من حزنها على العكس... أثناء الوقت التي أمضته في المستشفى، كانت تخشى ان ترى المسؤول عن أحزانها، وعندما خرجت كانت ستبدو كالبلهاء لو قابلته...

«سأصبح مجنونة». أعادت بدهشة. لن تستطيع ان تقتل هذا الرجل من مخيلتها. في بعض الأحيان تحتقره، وفي أحيان اخرى تشعر انها بحاجة لوجوده بجانبها. الأسوأ من كل هذا، انها ليست متأكدة اذا كانت ستلتقيه يوماً. في تلك الأمسية، كان فراقهما بارداً، والصحفي لم يسر ليعطيها موعداً آخر، او ليتصل بها... اوه، لماذا دخل ريدر في حياتها؟ لقد خرب كل شيء؛ الشيء الوحيد هو ان لا ترجع بريانا بأفكارها الى الخلف، يجب ان تبقى في حاضرها ومستقبلها...

صباح يوم الاثنين، استيقظت من نومها فجأة عندما سمعت جرس الباب يطرق. لا تزال تشعر بالنعاس نهضت... من يتجرأ على ازعاجها في هذا الوقت؟.

● وضعت لباسها على أكتافها ونزلت من غرفتها.

«من الطارق؟». سألت قبل ان تفتح الباب.

«من تحبين ان يكون؟».

بدأ قلب بريانا يطرق من الفرح. ريدر!...

«ماذا تريد؟».

اوه، ما هذا التهور! لماذا طرحت عليه هذا السؤال.

«أريد ان اراك...».

«لماذا؟». قالت له وهي تبلع ريقها بصعوبة.

«لأعطيك شيئاً ما؟». قال بعبارة تساؤل، كما وكأنه يريد ان يختبرها.

«ماذا؟».

«دعيني أدخل، وستعلمين الاجابة».

«انا في ثياب النوم!».

«ليس مهماً...». تمتم.

«لو سمحت!». عانفته بعصبية.

«دعيني أدخل». اعاد بصوت هادىء.

«انا لم اكن بانتظارك...».

«وماذا بعد؟».

«ارحل!».

«حتى ولو كنت احضر لك دخلاً بالإضافة لهذا البيت؟».

«في هذه الحالة، قف تحت القصب...».

«هذا لا يتحمل...».

«اوه، انت حقاً غير محتمل! لماذا لا تستلم انت ادارة املاكك؟ عندما كنا في دالاس، قلت لك بأن لديك الخبرة في هذا المجال، أليس كذلك؟».

«اعمالي الأخرى، ليست بحاجة لي».

«انت على ضلال، في بعض الأوقات تكون بحاجة لك!».

«ان وكلائي مسؤولين».

«لكنهم لا يستطيعوا ان يشبهوا شخصك».

«لن احاورك اكثر، لقد تعبت من الحديث من وراء الباب...».

«اذاً، الى اللقاء!».

«بريانا...». تنهد.

انتظرت لحظة ثم قالت له.

«حسناً، تستطيع العودة بعد عشر دقائق؟».

«اريد ان اقول لك بأنني اعلم كيف تبدين». قال هذه العبارة بابتسامة.

كما وكأنه يتأملها، لكن كلامه جرحها في الصميم.

فتحت الباب بقوة...

«ان كنت تود اخذ مني اي شيء فأنت مخطىء». قالت هذه العبارة وعيناها متأججتان بالغضب.

مرعوب، رمقها وهي في ثيابها الزهرية اللون... استدارت عيناه اكثر عندما نظر الى حذاء البيت الذي يجعل رجليها ضخمتين.

«احب ان اكون في بيتي مرتاحة». قالت هذه العبارة محاولة تبرير هندامها.

مرت شرارة في عيني ريدر الزرقاوين.

«أليس نوع من الخيال، ارتداء كل هذه الملابس...». قال بنبرة هازئة.

نظرت اليه بعصبية. لكن ماذا يحمل بيده؟ باقة من الورد...

«اتيت لأحضر لك هذه الورود...». اعاد بصوت هادىء. «هذا لتزيين المنزل... واريد ايضاً ان اقترح

عليك ان نزور سوياً الميركادو».

«الميركادو». اعادت مدهوشة.

«أجل، انه السوق المكسيكي. تستطيعي ايجاد كل ما تريدين».

بريانا تابعت تأمله. كان هنا، امامها، يدعيها لنزهة! اذا لم يكن مقاطعها جاء ليراها! لماذا؟.

«متى ترغب ان تكون هذه الدعوة؟». قالت له.

«الآن؟».

«يجب ان اغير ملابسي اولاً...».

«في الحقيقة، ان هذا يلائمني اكثر». قال لها بابتسامة صغيرة.

كانت تريد ان تعتذر، لأنه كان واثقاً كثيراً من نفسه. كانت تريد ان تقول له لا، لكن للأسف لم تتمتع بالقوة اللازمة...

«خذي وقتك، انا لست على عجلة».

دون ان يزيد كلمة واحدة، اتجهه بهدوء نحو المطبخ، وباقة الورد لا تزال في يده.

غير قادر على الحركة، نظرت اليه بريانا بجمود وهو يتحرك. لماذا الدنيا تضحك لها عندما ترى ريدر؟ ان هذا فعلاً مزعج بالنسبة لها... كل هذه علامات الحب... لكن لا، يجب ان تكون اقوى من ذلك. بعيداً عن هذه الأفكار، كان رأس بريانا غارقاً بقساوة بين اكتافها...

حاولت ان تبعد هذه الأفكار من رأسها، لتتهيأ للنزول للطابق الأول، لتقول لريدر انها جاهزة.

السوق المكسيكية كان مدهشاً، الأصوات عالية، وملوناً؛ وكان يوجد كل ما يرغبه المرء.

اعجب بريانا بعض النقوش، عندما لفت ريدر نظرها الى بعض الرسوم التي تظهر مباني سان انطونيو القديمة. صرخت المرأة الشابة صرخة فرح: هذه الرسوم كانت مدهشة فعلاً!.

«هذا عمل فريد من نوعه!». قال البائع بسرعة. «كل لوحتين بتسع دولارات».

«هل رسمتهم انت بنفسك؟». سألته بريانا.

«لا، من رسمهم هو صديق لي».

«سنعطيكم ثلاث دولارات». قاطعهم ريدر، وهو يمسك معصم بريانا ليمنعها من اخراج محفظتها.

نظرت اليه بدهشة، لكنها لم تعلق.

اما بالنسبة للبائع، فجلس يفكر على كرسي كما وكأنه يريد ان يحدد مصير الرجلان. غرقا في حوار حميم باللغة الاسبانيولية مما جعل بريانا غير قادرة على فهم كلمة واحدة.

اخيراً اتفقا على مبلغ معني. اصرت بريانا على ان تدفع واخذت الرسوم بخمود.

عندما ابتعدا، طرق لها ريدر على اكتافها بحنان.

«لم يغدرنا بالسعر، أليس كذلك؟ وصديقنا رسمه جميل...».

«اتعتقد...».

«يبدو ان رسومه اخذت منه وقتاً طويلاً».

«لهذا السبب اذاً، كانت ابتسامته حزينة لدفعنا له هذا السعر». توقف واخذ لها يدها بهدوء.

«بريانا، انت جميلة جداً...».

شاعرة بكلماته العذبة، دفعت نظرها تجاهه، وحدقت

بعيناه الزرقاوين بدهشة. كانت تود ان تتركه وتكمل طريقها، لكنها لم تتمتع بالشجاعة الكافية.

كما وكأنهما وجدا وحدهما في هذا العالم، جذبها الى صدره وقبلها بعد هذه القبلة، نظر اليها بدهشة.

«لديك تعبيرات مضطربة من ناحيتي... للأسف، لكن على ما يبدو ان هذا هو السبب الذي لا يجعلك تغربي عن مخيلتي».

بدأ يطرق قلب بريانا. يداها كانتا معلقتان في يدي الصحفي، ومن دون ان تشعر داعبته بعنقه.

«حاول اذاً، ان تفعل؟». تمتمت.

ابتسامة صغيرة رسمت على شفتي الصحفي.

«حسناً، سأحاول! لكن للأسف، هذا شيء باطل...».

بريانا اخذها تفكيرها. هل من المعقول ان لا يفعل ما تطلبه منه؟.

«و... هل لديك الجرأة ان تتبع قوتك؟». قالت له بضعف.

ضاق نفسها وهي تنتظر اجابته.

«انا لست متأكداً...». قال لها وهو يقطب حاجبيه.

شرارة واضحة رقصت في عيني الروائية.

«هذا افضل...». ضحكت.

«او بالأحرى، هذا من شأني...».

«لماذا تقول ذلك؟». قالت له فجأة.

دون ان يجيب، حدق بها بإمعان، كما وكأنه يريد ان يقرأ الحقيقة في وجهها...

«استطيع ان اقع في حبك، لكن انا خائف...».

هذه الكلمات اخترقت بريانا كالنار. فجأة، كل شيء أصبح مضيئاً... كانت تتساءل دائماً عن احاسيسها تجاه ريدر، كانت تعتقد انه بالنسبة لها مجرد خاطر. لكن الآن عرفت: انها تحب هذا الرجل، بجنون...

فكرت بالاضطراب المفاجيء التي انتابها عندما سمعت كلماته، قبلها في جبينها بحنان.

«لا تخافي». قال لها بصوت هادىء. «انها مشكلتي، وعلي انا القيام بحلها...».

«كيف يريد ان يحلها؟». قالت بضيق. هل تستطيع ان تخفي نبضات قلبها؟ هل سينتابها شعور الحرارة والبرودة؟».

لم تعترض عندما اقترح عليها ريدر بأن يغير طريقه. شعرت بأن كل العالم اختفى من حولها؛ لم ترى ولا تسمع اي شيء؛ لم يكن سوى يدي ريدر تعانق يديها، قلبيهما يرقصا فرحاً وكأنهم يسيران نحو المجهول...

هذه الليلة، بريانا لم تنم ابداً. لقد كانت مندهشة لاكتشافها. ما الذي سيحدث؟ انها تحب ريدر من كل قلبها. انه بحاجة ماسة للحب... انّا قالت لها ذلك بوضوح؛ لقد قطع كل ارتباطاته مع النساء، فقط لأنه لا يملك الحب ليقدمه اليهن. بريانا لم تقع بخطر الابعاد، بل حاول تقريبها اليه، وهذا شيء مدهش...

وضعه كان مختلف، رغم كل شيء كان ريدر من استدعى اذا كان يمكنه ان يعشق بريانا. قالها ثم تراجع، في حين تظاهر بأنه فقد هدوء وحيه. وهو ايضاً كان مجروحاً...

تصميم بدأ ينبت في مخيلة بريانا. الباسلات التي تكتب

عنهن في رواياتها يخرجن منتصرات على حرب الحنان الذي يقدمهن للرجال اللواتي يفكرن بهن. ينتصرن على العوائق التي تعترض طريقهن. اذاً، لم لا تفعل هي كذلك؟.

في صباح اليوم التالي، مرت بعزيمة على فعلها: كانت تريد ان تستدعي على العشاء بول، انّا، الطفلة ريبيكا و... ريدر. كانت تريد ان تحضر لهم الأكل الذي يفضله ريدر.

انّا قبلت الدعوة على الحال؛ لأنها لم تخرج من المنزل من ان وضعت ابنتها ريبيكا وكانت بحاجة ان تمضي ليلة مع احد اصدقائها.

ريبيكا كانت طفلة فاتنة، وتنام في سريرها بهدوء. بريانا وضعت سماعة الهاتف: قبل ان تطلب الرقم التالي، اخذت نفساً عميقاً؛ لا يجب عليها ان تتراجع!.

«معك السون...». قالت بصوت فيه انوثة.

«هل استطيع ان اكلم ريدر كانترل لو سمحت؟». قالت الروائية بخمود. «بريانا سانت كلير تتكلم...».

«لحظة...».

بعد لحظات قليلة، صوت رجولي دخل على الخط.

«بريانا؟». تمتم الصحفي فجأة. «ما الذي حصل؟».

«لا شيء خطير، اطمئن... اريد فقط ان ادعوك غداً على العشاء بول وانّا سيكونا هنا ومعهما ايضاً الطفلة». كانت مضطرة ان تشرح له ذلك.

«غداً؟». اعاد عليها بعد تردد.

«أجل، الساعة الثامنة».

«هل انت من سيحضر الطعام؟».

«لا تجن!». قالت له بابتسامة قوية نوعاً ما. «اني طاهية ماهرة. هل تختار نوعاً من الطعام احضره لك؟».

«لا، على العكس، اختاري انت».

«حسناً، اذاً سأنتظرك».

«أجل... الى الغد و... اشكر لك دعوتك».

«الى اللقاء».

عندما انتهت المكالمة. وقفت بريانا للحظات مسمرة ريدر قبل الدعوة!.

ان هذا يلزمها ثوباً جديداً...

الثوب الذي اختارته بريانا، لونه أخضراً براقاً، مشابهاً للون عينيها.

نظرت الى نفسها للمرة الأخيرة في المرآة، تنهدت المرأة الشابة تنهيدة فرح. انها كانت رائعة، بقامتها النحيلة ووجهها الدقيق الملامح وعنقها المزين بالحلا.

عندما نزلت، شعرت بأنها ستقع في مأزق ما: ريدر سيعلق على كل نوع من أنواع الأكل بعد تزوقها لكنه لم يرم اي نظرة تجاه بريانا... هل يستطيع ان يمحي بريانا من مخيلته؟ اذاً سيجبرها على ان تقبل حبه...

للأسف، الأشياء لم تجر كما كانت تتصور. قبل كل شيء وصل ريدر متأخراً.

مضطربة وعصبية، بدأت بريانا تحضر المائدة عندما قرع جرس الباب.

«يجب ان يكون هو». قال بول الجالس بجانب انّا.

«عندما يريد يكون الأكثر دقة».

ذهبت بريانّا لتفتح الباب، ينتابها شعور بين العصبية والفرح. من جهة اخرى كانت عصبية جداً من تصرف

الصحفي. هل جعلها تنتظره. ليبرهن لها بأن اهتمامه بها اقل من اهتمامها به؟ لكن من جهة اخرى كانت فرحة جداً لرؤيته...

انه ريدر، انيق الهندام، كان يرتدي جاكيت سوداء وقميص ابيض، وربطة عنق منسقة على ثيابه.

«هل تأخرت كثيراً؟». قال بابتسامته المعتادة عليها دائماً.

غير قادرة على الكلام، انها تحمل في قلبها تجاه هذا الرجل شعور لا يمكن وصفه! هل تستطيع ان تصلب عواطفها وتقوى على نفسها كي لا ترتمي بين ذراعيه...

«بريانا؟». وجهها بصوت هادىء وكأنه يريد ان يذكرها بالحقيقة.

اضطربت من مكانها وابتسمت بخجل.

«لا... لا، طبعاً...».

تراجعت الى الوراء لتجعله يدخل ويقفل الباب وراءه. كانت بضميرها تشعر بأن ريدر يتأملها، شعرت بأن نظراته تلامسها وهذا يعطيها القوة...

عندما دخلا الى غرفة الاستقبال، وقف بول وقال بفرح:

«أخيراً وصلت! كنا بدأنا نيأس...».

«أجل، لقد انشغلت قليلاً... لكن اين الطفلة ريبيكا؟».

«في غرفة بالطابق الأول، انها تنام». اجابت انّا.

«وأمنعك بشدة من ايقاظها! لقد بذلت مجهوداً كبيراً لكي تنام...».

«مساء البارحة، شيطان الطفلة لم يغمض لها جفن». شرح بول «اعتقدت انها تغضب من النهار والليل...».

«انها ليست الوحيدة». قال الصحفي.

نظر اليه بول بعصبية.

«لماذا تقول ذلك؟».

«هل تتصور بأنني كانت نائماً: هذا هو سبب تأخيري».

«ارى... هل أرقك هو بشأن الأعمال التي تقوم بها منذ شهر؟».

لهذه الكلمات تغيرت ملامح ريدر.

«هل انتابك عارض جنون؟». قال بنبرة قاسية.

«لا، هذا ما استطعت ادراكه...».

«ريدر...». قالت انّا بصوت مرتجف. «لا يجب عليك ان تغضب لذلك. في المرة الأخيرة كانوا يريدون قتلك!».

لم يتوقف قلب بريانا عن النبضات. انتابها شعور بارد، نظرت بسكون الى وجه الرجل الذي تحب.

«انت تفرطين...». حاول ان يلفت نظر انّا.

«حقاً!». قالت هذه الأخيرة بسخرية. «ان يتبعونك وتسير وراءك سيارة مسرعة بسرعة جنونية، أليست هذه محاولة لقتلك؟».

«هذا حادث، وفراملي كانت غير مضبطة...».

«أليس هذا الحادث هو الذي جعلك تدخل المستشفى!».

«لم أصب سوى بجرح بسيط في رأسي...».

«مهما كان الأمر، انت تتعرض لحوادث كثيرة، ويمكن ان تطال هذه الحوادث زوجي بول».

- ٣ -

رفع ريدر اكتافه واستدار ناحية بريانا، التي كانت ترمقه دائماً بنظرة جنونية.

«قلت بأن الطعام أصبح جاهزاً أليس كذلك؟». قالها بابتسامة محاولاً ان يشير بوضوح بأن هذا الحوار أصبح مملاً.

«أجل». اجابته بأسى.

انتاب حنجرتها خوف فظيع، يا الهي، ريدر في خطر...

«اذاً، هل نمضي عن هذه الأشياء الدقيقة؟ انا جائع! ليس انتم؟».

عائلة دانيال نظرا الى بعضهما بكآبة وحاولت بريانا ان تكتشف بماذا يفكران. لكنها كانت تحب ان تصل للذي حاول ريدر اكتامه بانهائه للحوار.

لكن ما الذي يجري؟ بريانا لا تحب ان تبقى كالبلهاء،

www.elromancia.com

يجب على احد ان يشرح لها ذلك. بما ان ريدر انهى الحوار بهذا الموضوع ستحاول مع انّا!.

بعد الطعام، بدأت السيدتان ترفعان الصحون عن المائدة، كما وانهن كانتا متفقتان لوحدهن في المطبخ، اخذت انّا الروائية بيدها بعصبية كان القلق ظاهراً في عينيها السوداوان.

«بريانا... اتعتقدين بانك تستطيعين اقناع ريدر بانه على حق؟».

«لم انا؟». قالت بصوت قوي.

«يمكن انك تستطيعين ان تنجحي بالذي فشلنا به نحن؟».

«لكن لماذا تكلفيني انا؟ في المدة الأخيرة التي تكلمنا بها عن ريدر طلبت مني بأن اعدك بأنني لا اتحاور معه».

«هذا صحيح، لكن الوضع الحالي يغير الماضي...».

بدأ قلبها يطرق، جلست بريانا على كرسي.

«هل تستطيعين ان تشرحي لي الخطر الذي يهدد ريدر؟». تمتمت.

«أذاع حل كتاب يصرح التصرف بعصابة في سان انطونيو الذي يتكلم عن «بيع وشراء» اي اصل التجار المستوطنين في المكسيك».

«هذا مريع...».

«أجل... صرحوا بجراءة للناس الفقراء بطرق مخيفة، المختلسين بدون مهزلة، سرقوا دون ورق...».

فتحت بريانا عينيها، وشدت على فكيها، ثم قالت، «انه الجنون بعينه!».

«سيدتي». قالت.

حركت انّا رأسها بأسى؛ وجلست الاثنتين صامتتين وقتاً طويلاً.

«هل تعتقدين بأنني استطيع ايجاد تعديل لهذا العزم؟». قالت الروائية بنبرة تدل على الريب والشك.

«هذا ممكن كثيراً... وان لم تنجح تستطيعين ان تبرهني له بأن هذا العمل فيه خطورة عليه».

«وهو الا يعلم ذلك؟». قالت بريانا وهي ترتجف من البرد.

«انه يعلم كل شيء...». قالت انّا بكآبة.

انتهت الاثنتين من غسل الصحون، كل واحدة منهن غارقة في تفكيرها. لم تستطع بريانا ان تخفي شدة الكلام التي تلفظت به انّا. هل تستطيع الآن ان تقرب ريدر منها، ان تجبره على حبها.

كانت تتمنى فقط ان يعيش! حتى لو لم يكن يحبها، ستجد القوة لتتحمله، لكن لو قتل، او جرح وكانت جروحه بليغة...

عندما عادا الى غرفة الاستقبال، وجدا ان الطفلة ريبيكا قد استيقظت وتلعب بين ذراعي والدها.

اسدلت بريانا رأسها وجلست على كنبة، اختارت ابعد كنبة عن ريدر. كانت تعلم انه اذا نظرت الى الصحفي، كل حبها، وحنينها تجاهه، سيقرأ في عينيها. وهذا لا يجب...

أشارت انّا الى زوجها لينهض هو بدوره.

«حسناً... حان الوقت لنرحل». قالها وهو يحول رأسه ناحية الشمال.

«الآن!». قال ريدر.

«انا تعبة جداً». أجابت انّا بحزم.

ثم استدارت ناحية بريانا وتبسمت لها باحترام:

«شكراً لهذا الأكل الفاخر... لا تنسي ان تعطيني مقاديره قبل ان ترحلي...».

«اي رحيل». قال ريدر وهو يقطب حاجبيه.

«اذكرك ان بريانا الآن في عطلة. وفي يوم من الأيام ستعود الى بلدتها...». قالت له انّا.

بعد ان ذهبت عائلة دانيال، جلست بريانا وريدر صامتين وقتاً طويلاً. كان الصحفي ينظر الى الفراغ امامه وحاجبيه مقطوبين.

«هل حددتي موعداً آخر لزيارتك؟». قال لها اخيراً.

اضطربت المرأة الشابة. هذا السؤال كان بعيداً عن تفكيرها!.

«لم احدد بعد الوقت...».

«في الأسبوع المقبل؟».

«لا اعلم...».

«البارحة ايضاً،...» ارتباك مخاطبها اعطتها بعض الأمل. للأسف، لا يحب ان يصحى يراها ذاهبة. لكن في الوقت الحاضر انها تفكر فقط بالخطر الذي يهدده...

وكأن احد ما حثها، وقفت فجأة واقتربت اليه. وقفت امامه للحظة جامدة، ثم ركعت على رجليه، ووضعت رأسها بهدوء على ركبتيه، وضمته بين ذراعيها.

شعرت انه يرتجف. اخذ عنقها بين يديه ليجبرها على النظر اليه. عندما وجد انها تبكي، في بادىء الأمر اندهش؛ لكن لا شعورياً بكى هو أيضاً.

«ريدر...». قالت بقلق.

ابعدها عنه بحنان ووجهها باحترام.

«لا يجب ان تفعلي هذا بريانا...». قال لها بقساوة.

مرتجفة وقفت بدورها.

«انا لا افهم...». تمتمت.

رفع اكتافه غير مبال.

«اوه، لماذا اذاً كل هذا! سأغيب عدة ايام...».

شد الخوف قلب بريانا.

«اين تريد ان تذهب؟».

«لا يمكنني القول لك».

«لماذا؟ هل لهذا علاقة للذي تكلم عنه بول في بداية السهرة؟».

شدت احناك الصحفي.

«انّا روت لك كل شيء أليس كذلك؟».

«أجل... فكرت بأنني...».

«ماذا». قاطعها بانفعال. «ان أغير عزمي؟ ان أغير رأي عندما تبكين امامي، خاصة عندما تتركين سان انطونيو؟».

مد يده، وأخذ المرأة الشابة بقوة اليه؛ كل جسمه يرتجف، كما وكأنه مريض وحرارته مرتفعة.

«اذاً، هي على حق...». تابع. «لن اذهب. ولا احد يهمني. وان لم اقل لك ذلك، ستأخذينني بين ذراعيك، تقبلينني، تداعبينني حتى افقد صوابي. سأقدم لك حياتي لأكون أول رجل تحبينه، لتقدميني احد ابطال روايتك، او بالأحرى اكتب لك. وتجعليني احلم بانك بين يدي وأمضي معك الليلة بكاملها لأستيقظ في صباح اليوم التالي وأجد نفسي امامك...

مسكها من شعرها وابعدها عنه. نظر اليها نظرة شحوب طويلاً.

«للأسف، ان حلمك هذا مستحيل...». ثم تابع، «ليست لدي الرغبة بالبقاء معك، عشرات الأشخاص ينتظرونني وسأقدم حياتي من أجل مساعدتهم».

المرأة الشابة رمت بنظرة حزينة تجاه الصحفي: لكن قرار هذا الأخير سيؤدي به الى المهالك.

«الى اللقاء بريانا...». تمتم. «لا تصطحبيني، اعرف الطريق جيداً...».

هذه الليلة بريانا لم تعرف النوم. ترك سان انطونيو، وهي قلقة عليه. اين ذهب؟ هل هو بأمان ام انه معرض للخطر؟ هذه الحيرة جعلتها تعيش بضياع...

يا الهي، كم هي تحبه! هل تستطيع ان تعرف ان كان هو يبادلها نفس المشاعر ام لا.

حلمت بأنها ترتدي فستانها الأخضر الذي اختارته بدقة لتسحر به ريدر، لكن خيالها أوحى لها بالخجل. انها حقاً مختلفة عن باقي الفتيات. صدى صوته لا يزال في أذنيها... تذكرت الطريقة التي استطاعت ان تجذبها بها اليه، وهو يتمتم بأنه كان يحلم بها نائمة بقربه على أمل انه سيصحى ليجدها بقربه... اما الآن فقد ذهب، حيث ناداه عمله...

شخصية ريدر كانت معقدة، الكاتبة احتارت بأمره منذ أول لقاء بينهما: غير مبالي، باسم، يستطيع من اللحظة المقبلة ان يريها قساوته. بصفة عامة هذا الرجل كان بالنسبة لبريانا بمثابة لغز.

شرح لبريانا بأن كثير من الأشخاص حاولوا ان يتقربوا

منه، لكنه لم يرغب بذلك. بريانا توصلت بعد تفكير عميق بأن كل هذا بسبب ذكريات أهله المؤلمة. كان يشعر بأنه المسؤول عن وفاة أهله وشقيقته. لهذا السبب أراد الابتعاد عن كل الناس على اعتقاد ان اقترابه منهم سيعرضهم للموت. وان الموت سيداهمه هو أيضاً...

تنهدت بريانا تنهيدة عناء. يا الهي ما هذا الحب! الا تستطيع ان تقول له بأنه هو الرجل المنتظر، منذ زمن طويل، اكثر مما يتصور؟ لكنه لم يسألها عن اي شيء، حتى انه لم ينو البقاء في سان انطونيو...

في اليوم التالي، شدها رنين الهاتف. بدأ قلبها يطرق. ممكن ان يكون ريدر!.

عندما عرفت انه صوت انّا استلقت على الحائط حتى لا تقع على الأرض.

«بريانا، هذا انت؟». اعادت انّا بقلق.

بدأت اصابع بريانا تضطرب. لماذا لم يتصل بها ريدر؟.

«أجل». قالت لها بقساوة. «هل من جديد؟».

«كنت اريد ان اطرح عليك نفس السؤال. أرجو منك ان تعذري فطنتي لكن... هل ريدر عندك؟».

كلا». تمتمت بريانا.

لم تساعدها حنجرتها على التلفظ بأية كلمة.

«اذاً... لم تنجح بإقناعه على الابتعاد عن الذي يجول برأسه؟».

«لا...».

تنهدت انّا تنهيدة عناء.

«كان يجب على الأقل ان تحاولي،» علقت بحزن. «كيف

تشعرين انت؟».

ابتسمت بريانا ابتسامة مضطربة. كانت على وشك الوقوع في كريزة الأعصاب...

«انا؟ على خير ما يرام».

الشدة، التي انتابتها بسبب الأرق. بدأت تؤثر على توازنها. نهر من الدموع انسال على وجنتيها. اخذت نفسها ومسحت وجهها بهدوء:

«لا تكذبي: ان صوتك يشير على انك لست على ما يرام. هل آتي اليك، فأنا بمثابة صديقة لك؟».

«لا، ان شعوري هذا شيء طبيعي...».

«هل انت متأكدة؟ انت بحاجة ماسة للبكاء...».

توقفت انّا عن الكلام ثم تابعت بنبرة مازحة.

«انت اذاً تحبينه كثيراً؟».

لكل جواب كانت ستتلفظ به، كان يجب عليها ان تستعيد انفاسها من جديد، حتى لا يضطرب صوتها.

«انت مجنونة به...».

وضعت بريانا يدها على صدرها وشدت على قلبها لكي توقف نبضاته السريعة.

«أجل...». اجابتها.

«اوه سيدتي! كم انا بلهاء! كان يجب علي ان امنع لساني، وان لا اكلمك عنه...».

«لا تعتذري: انت على حق».

«سيخرج بسلام، لا تتألمي كثيراً. الوضع ليس مأساوي كما نعتقد. ريدر بالغ! محق: لن يقع بمخاطر غير طبيعية. كوني على ثقة به!».

«لكن... قلت لي بأن ليس دائماً حكيماً!!».

«حسناً... هذه المرة سيكون حكيماً! منذ ان عرفته، بدأ يتغير تدريجياً...».

«حقاً؟». تمتمت بريانا.

«أجل... يبدو لي انك نجحت بحفر ثقوب في هذا السور السميك الذي لم يستطع احد أصدقائنا بناؤه. يمكن ان يكون قد حصل ذلك بدافع الحب، وتستطيعين ان تخرجي ريدر من الذي هو فيه...».

«اتمنى ان يسمعك الله...».

«عندما وضعت بريانا سماعة الهاتف، شعرت وأنها اعادت اليها صحو السماء. في حين، الساعات الماضية كانت تعيش بشدة، واليأس بدأ من جديد ينتابها...

اليومين المقبلين، كانا اتعس يومين في حياة المرأة الشابة. غير قادرة ان تمنع نفسها من التفكير بالصحفي، شعرت بأنها فقدت كل شيء، حتى النوم...

الوقت الوحيد التي كانت تتحمله هو عندما تتذكر السون. بريانا اتجهت الى اقرب خيمة وفتحت الصحيفة بضعف لتقرأ توقيت ريدر. لم تجهل بأن الصحفي قد حرر على صفحاته قبل ان يترك سان انطونيو، في حين عند قراءة أسطره، كانت تشعر أنها بجانبه، بأنها تسمع صوته الضخم.

قسمت الذي كتبه ريدر من خلال العناوين ووضعتها على الطاولة. عادة في أرقها اللانهائي، تعودت ان تلامس صورته بأصابعها.

في اليوم الثالث، بعد ان جلست حزينة لساعات طويلة، نهضت وجلست للحظات على الكنبة التي جلس عليها ريدر آخر ليلة قبل رحيله. كانت تشعر بأنها نزفت

كئ أ من التعب الذي أثار شدتها. ثم غرقت بنوم عميق.

عندما استيقظت، كانت قد غرقت بأفكارها. قلبها يطرق، ترتجف من دوار البرد الذي انتابها، رمت بريانا نظرة من حولها. كانت اكيدة بأنها سمعت صوتاً قوياً، مثل... طلقة رصاص. لقد انتهى فكرة فجائية... ريدر كان بخطر...

اضطربت يدا بريانا، اضطرت ان تتنفس بهدوء لتبعد عن رأسها الأفكار السوداء التي تأجج مخيلتها. انها تحلم، ام هو طرق باب سيارة الذي أيقظها.

في اليوم الرابع، قررت بريانا ان تذهب. لو بقيت في المنزل وقتاً طويلاً، ستصبح مجنونة. ستدعو اذاً انّا لتناول الغداء.

للأسف، لم يكن الغداء كالعادة مكللاً بالفرح. الطفلة ريبيكا كانت متألمة قليلاً. انّا وبريانا امضتا فترة بعد الظهر يتحاوران بالذي حدث.

أخيراً، استطاعت الطفلة ان تنام، وتستطيع الصديقتان الآن تناول الطعام. انتظرت الروائية عودة بول بفارغ الصبر. ربما كان لدية اخبار جديدة عن ريدر؟ عندما وصل، كانت ملامح وجهه تشير الى انه ليس من جديد...

كانت تأتي بريانا الى انّا صباح كل يوم. عندما كانت تمشي في الحدائق كانت دائماً تنظر الى الأرض لترى ان كان يوجد أثر يدل على شيء ما. وقد أصبح هذا الوضع عادة بالنسبة لها. أصبح هذا الوضع بالنسبة لها ولعائلة دانيال طبيعي كما وكأنهم يمثلون فصل مسرحي. والثلاثة يستحقون لفت الانتباه!.

اتت بريانا الى منزلها، فتحت الباب. عندما دخلت اتجهت فوراً الى المطبخ لتحضر فنجاناً من القهوة. خلال الأيام الماضية شربت ليترات من القهوة: قليل ان كان زائداً ام ناقصاً لا يفعل شيئاً... مرت بقرب غرفة الاستقبال، هناك شيء ما لفت انتباهها. هناك حركة غريبة... بحذر، اقتربت خطى قليلة، فوجدت... ريدر!.

اقترب قليلاً. نظر اليها باضطراب كما وكأنه اتاها في الحلم.

نظرا لبعضهما وقتاً طويلاً. أصبحت بريانا غير قادرة على الحركة اطلاقاً! لقد حلمت به كثيراً بأنه كان مريضاً...

تحرك الصحفي أولاً. صرخت المرأة الشابة عندما وجدت يده اليسرى ملفوفة برباط.

«ريدر؟». قالت بدهشة.

«أجل، هذا انا». قال بابتسامة صغيرة.

«يا الهي، انت مصاب».

«هذا لا شيء...».

لكن! هذا مهم جداً، على عكس ما يقول! كانت تريد ان تركض اليه، ان تطبع على خده قبلة؛ في حين كان يبدو عليه غير قادر على تحمل أشياء كهذه.

«منذ متى انت هنا؟». قالت له بأسى.

«حوالي الساعتين...».

وهي التي كانت غير موجودة! لماذا اختارت بعد ظهر هذا اليوم بالذات لتخرج، مع انها بقيت مغلقة على نفسها عدة أيام.

«كيف دخلت الى هنا؟».

«لدي مفتاح آخر غير الذي أعطيتك اياه...».

جلس الاثنين جامدين، ينظران لبعضهما...

«لم تسأليني ماذا فعلت؟». تمتم أخيراً الصحفي.

حركت رأسها بسكون، انها لا تزال غير قادرة على التعبير عن كلمة واحدة.

«حسناً، كنت فرحاً كثيراً». ضحك...

«انا مسرورة من أجلك».

لم تستطع ان تغير نظرها عن ذراع الصحفي المربوطة. هل اصابته بليغة؟.

«هل ذهبت الى الطبيب؟».

ابتسم ريدر بفرح.

«أجل، ذهبت لأخصائي...».

«ماذا قال لك؟».

«انه خدش بسيط، خلال أيام، لا يعد له وجود».

أغمضت بريانا جفنيها للحظة، شكرت ربها لأن اصابة ريدر كانت طفيفة وانه ليس بخطر؛ وان سماعها لطلقة الرصاص لم تكن سوى حلم...

«كيف حدث ذلك؟». قالت له بأسى.

«كنت بمكان قبيح، ووقت أقبح، تابع بنبرة مقطعة. احدهم تبعني...

انتاب بريانا عصبية جامحة.

«لكن في المرة المقبلة ستقتل!». قالت هذه الكلمات محاولة تأنيبه.

«عادة...». تمتم وهو يمرر ابتسامة ساخرة. «انت اذاً فرحة من أجلي؟».

هذا السؤال جرح بريانا وتمنت لو أغلقت له فمه بيدها.

لديه الجرأة ان يسألها اذا قلقت عليه؟ كانت ستنسى هدفها بسببه!.

لكن، ليس من الطبيعي ان تقول له شيئاً. كي لا يشعر انها قلقت عليه.

«لا، لم اقلق عليك ابداً». اجابته ببرودة. «كنت مشغولة جداً...».

رمقها بنظرة سوداء.

«هذه الحيلة لا تمر علي».

رفعت بريانا رأسها بعصبية.

«انا لا اكذب! اشتغلت حتى انهكت قواي، وأبحاثي الذي اتيت الى هنا من أجلها أصبحت على وشك الانتهاء منها. لم ينقصني سوى ان احضر لرحيلي...

سكوت ميت انتاب الغرفة. وقف ريدر وهو شاحب اللون. بريانا شعرت بالذنب. اوه، ما الذي جعلها تقول هذا؟ فهي لا تريد ان تترك سان انطونيو! ليس الآن!.

«متى ستذهبين؟». قال لها بجفاء.

بريانا لا تستطيع الاختيار الآن: كان لا يمكن ان تعود الى الوراء.

«السبت،...». أجابت بخمود.

تعابير محزنة طبعت على وجه ريدر: فكيه أطبقا على بعضهما بقساوة.

«في هذه الحالة... اقترح انه يكون من الأفضل ان نستودع بعضنا منذ الآن. لأنه يمكن ان اكون مشغولاً في بحر الأيام المقبلة». هذا غير معقول! لا يمكن ان تنتهي علاقتهم بهذا الغباء.

«كما تريد...». تلفظت هذه الكلمات بأسى.

حاولت ان تخفي حزنها ببراعة، مدت له يدها. لكن ريدر لم يتحرك؛ ساكت، كان ينظر وقتاً طويلاً للمرأة الشابة.

«انها طريقة باردة للفراق أليس كذلك؟». تمتم أخيراً.

«حتى الآن ارتباطنا كان حاراً على ما يبدو لي...».

بريانا لم تتلفظ بكلمة واحدة. يا الهي، يبدو انه لن يلمسها، حتى انه لم يحاول تقبيلها! لو وجدت بين ذراعيه، لم يكن لديها القوة من ان تمنع نفسها من ان تصرخ بأعلى صوتها بأنها تحبه كالمجنونة.

خرس وبردت همته تجاه صديقته، اخذ الصحفي نفساً عميقاً. ثم اخذ لها يدها بهدوء ووضعها بين يديه.

«هل تذكرين مقابلتنا الأولى؟».

رفعت رأسها ونظرت اليه بدهشة.

«أجل...». اجابته.

«وعدتني ان تهدني نسخة من كتابك الجديد. اذاً ن كنت تريدين تأكيد كلامك، اكتبي فقط الكلمات التالية: «الى باسل هذه الرواية» سأفهم...».

شعرت بريانا بأن قلبها سيقع. لم لا تقول له بأنها تحبه؟ انها لا تملك القوة على السكوت، انها تريد ان ترتمي بين ذراعيه. ان تعطيه روحها وجسدها...

لكن لا، لن تفعل ذلك. لقد أخذت عهداً على نفسها بأن لا تكون كالأخريات التي عرفهم. لا تريد الحب الذي كان يقدمه اليهن. هذا النوع من العواطف لا يعطيه ريدر من كل قلبه.

«حسناً». قالت له بابتسامة شاحبة.

نظرت اليه وهو يتجه نحو الباب.

«ريدر؟». قالت له فجأة، بنبرة طويلة. «لماذا اتيت الى هنا؟ لم تتح لي الفرصة حتى لأطرح عليك هذا السؤال...».

استدار، ونظر اليها باضطراب.

«حسناً... هذا الأمر ليس مهماً الآن. لقد اخذت كل ما اتمنى هذا كل شيء. انا... اعتقدت بأنني تركت شيئاً ما في هذا المنزل. لكن يبدو انني مخطىء».

قطبت بريانا حاجبيها. ما معنى هذه الكلمات؟ ريدر لم يترك اي شيء خاص في منزلها وهي أكيدة من ذلك. لقد لاحظت ذلك ايضاً...

شيئاً فشيئاً، فكرة جنونية مرت في ذهن بريانا. اتجهت نحو الباب مضطربة.

«ريدر، هل تتكلم عن؟». انه لا يستطيع الاجابة. لأنه بعيداً جداً...

صباح يوم السبت، استيقظت بريانا متوترة من العالم اجمع.

شعرت بأنها هي المسؤولة الوحيدة عن كل المصائب التي وقعت فيها، لكنها كانت تريد ان تقنع نفسها بالعكس.

كان سهلاً جداً، ان تعذر ريدر. رغم كل شيء. قرر ان يذهب دون ان يؤكد او يجرب ان يأخذها معه!.

لماذا لم يأخذها بين ذراعيه؟.

لماذا لم تمنعه من الرحيل؟ كانت تستطيع ان تجعله يغير عزمه وبسرور ايضاً... الا يستطيع ان يبذل مجهوداً قليلاً؟ لكن لا! الاستاذ لديه التزامات اهم! كان لديه مجموعة من الحيل اعلن عنها، حياته الخاصة كانت مليئة

ا' مخاطر. . .

اوه، اين هو؟ حتى انه لم يحفل بها، ولم يتصل بها خلال اليومين الأخيرين، انه فقط قرر وخطط لوجوده بريشة. في حين انها لن تيأس كعادتها. اه لا! طائرتها تحط في الساعة الحادية عشرة. وهذا تصور مشؤوم كالموت، في حين بريانا لن تنزف دمعة واحدة. هذا لا يحتاج لسؤال!.

انها تقدر هذا المنزل كما انها تقدر ايضاً بلدة سان انطونيو. عندما تعود الى بنسلفاني، لن تزور ابداً البلدات المجاورة. لأن رحلاتها لن تنجح ابداً! انها لم تكتب ولا كلمة حتى بالنسبة للرواية التي تعمل بها منذ عدة أسابيع. انها لا تحب ان تسمع احد يتكلم عن تكساس!.

بحثت بريانا من جديد في المنزل، لتتأكد بأنها لم تنسى شيئاً. كانت تحرص على ان لا تنسى اي شيء شخصي على الحائط ولا حتى دبوس شعرها.

عندما نظرت الى غرفة الاستقبال. وقفت فجأة امام الكنبة التي تعود ريدر ان يجلس عليها. توترت اعصابها، خمدت همتها قليلاً هل ستضطر لتعيد الماضي.

قرع جرس الهاتف وأيقظ بريانا من حلمها. كالمجنونة اتجهت بريانا نحو المرآة، لم تكن تستطيع ان تحتفظ بابتسامة صغيرة. ما الذي حدث!.

«انظروا كيف يصبح الكاتب بعد أول تجربة له!». قالت ذلك وهي على وشك نوبة هستيرية. دون حذاء شعرها غير مصفف، وجنتاها شاحبتان، انها تبدو كمجنونة حقيقية.

كانت تتحذر من سيكون على الهاتف قبل ان ترفع السماعة. لو كان ريدر، يجب ان لا يعذرها بمعرفة

الاختلاط التي هي فيه. . .

«بريانا؟».

«عندما عرفت انه صوت انّا، شعرت الروائية فجأة بالدموع تتلألأ في عينيها.

«أجل. . .». قالت بأسى.

«اوه، يا صديقتي العزيزة. . .». تنهدت مخاطبتها. «تبدين تعبة جداً. كنت دائماً اتوقع بانك ستغيري رأيك! انت الآن ترتكبين خطأ جامح. . .».

«لا، لا اعتقد ذلك. . .».

«بلى، ريدر كان هنا من حوالي دقائق قليلة. هو ايضاً يشعر بكآبة. انتما الاثنين أغبياء! قلت له ان ينسى الماضي ويفكر في الحاضر والمستقبل».

«قلت له ذلك؟».

«أجل، وكثير من الأشياء ايضاً. . .».

«بمَ. . . بماذا أجاب؟».

«حسناً. . . لا شيء». قالت انّا بعد سكون قليل.

نزل عن اكتاف بريانا حمل ثقيل.

«انا اشك. . .». تمتمت.

تنهدت انّا من جديد، ثم تابعت بأسى.

«لقد انهى بحثه، وأول مقال له سينشر اليوم. في هذه الساعة، شرح لي بوضوح الباقي. هل هذا يهمك؟».

«أجل، طبعاً. . .».

«انت تعرفين الخطوط العريضة لهذه القصة. لكن سأعيده لك. منذ حوالي الشهر، تعاقد ريدر مع شخص الذي طلب منه ان يجري له بعض البحوث. اخذ موعداً من ريدر، حدّث مخاطبه عن شبكة خفية تدخل اسرار

التجار في بلدنا. حدثه ايضاً عن اسباب مخيفة مختصة بجرائم التجار...».

«توقفت انّا لتأخذ انفاسها. وبريانا ايضاً تذكرت عندما قابلت الصحفي في مركز الزراعة التكسانية. قال لها بأنه ينتظر احد الأشخاص؛ لا بد انه ذلك الذي كلفه بالبحث...

«قرر ريدر ان يبحث عن الذي سيقوله لهذا الفرد وبدأ صراعه. في هذه اللحظة بالذات «حدث له الحادث». ان هذا طبعاً كان مجرد انذار، لكن ريدر لم يأخذه بعين الاعتبار. على العكس! ان هذا الحادث اعطاه القوة ليضع الحقيقة في النور.

اما الآن عندما انتهى من تحرياته وتوصل الى الحقيقة فإنه سيقدمها لقرائه. شكراً لله... في الشرطة ايضاً كانت تبحث عن الحقيقة. فاتفق ريدر مع رجال الشرطة ان يقدم لهم الحقيقة بشرط ان يسمحوا له بنشرها على الصحف.

لهذا السبب ترك ريدر سان انطونيو عدة أيام. ان عملها كان سري للغاية بسبب هذه القصة الغامضة، لأن احد المشتركين فيها هو من رجال الأمن. والشرطة كانت تحميه دائماً، اي كان في حمايتهم».

«سيدتي! هل قبض عليه؟». قالت بريانا بقلق.

«أجل، المارة أخذوا في الحال. بسبب تصاريحهم، قبض عليهم ووضعت عصابات في أيديهم. وحبسوا».

«اتمنى لهم بقاءاً مديداً في السجن!». قالت بريانا بقلق. «تصورت الذي حدث عندما قبضوا عليهم؛ منذ ان يفتح لهم باب السجن، سيصبح الصحفي في عداد الأموات».

«لا تحزني كثيرا، ريدر قال لنا بان الامر انتهى: سيدفعوا ثمن جرائمهم».

تنهدت بريانا تنهيدة عناء لكنها لم تمر على انّا.

«لماذا لا تؤجلي موعد سفرك وتبقين في سان انطونيو عدة أيام؟ سيكون عمل جيد، أليس كذلك؟».

«سيكون مريع!». قالت الروائية.

كان لريدر الوقت الكافي ليطلب عدم الذهاب. لكنه لم يفعل. وهذا يعني انها لا تهمه.

«ان عائلتي تنتظرني...». تمتمت.

«لمَ لا تتصلي بهم وتخبريهم بأنك أجلت موعد ذهابك؟».

«لا...».

«لن انجح بأن أجعلك تغيري رأيك، أليس كذلك؟».

رفعت بريانا رأسها سلبياً دون ان تفكر بأن مخاطبتها لم تراها، هذه الأخيرة، لم تضطرب لهذا السكون.

«انا حزينة جداً... لكن... سنبقى على اتصال، أليس كذلك؟». تابعت انّا بلهجة مكسرة.

من جديد، انهمرت دموع من عيني بريانا.

«شكراً...». تمتمت. «كلماتك سخنت لي قلبي».

«بول طلب مني ان انقل اليك سلامه».

«قولي له، انا ايضاً بدوري اهديه سلامي. قبليه، وقبلي لي ريبيكا... انا... اتمنى ان اراكم في بنسلفاني. سأكون سعيدة جداً...».

«سنزورك، اعدك بذلك. انتظري منا بعض الصور لطفلتنا ريبيكا».

كأن عاصفة حطت على بريانا، عندما قالت لأنّا الى

www.elromancia.com

اللقاء ثم وضعت سماعة الهاتف قبل ان تبكي.

مسحت عيناها بانتباه ونظرت الى الساعة: كان وقت الرحيل... يأسها جعلها تشعر بالبرودة، نظرت المرأة الشابة الى المطار نظرة خمود.

بعد وقت قليل انتابتها عصبية مفجعة. انها لا تريد ان ترى ريدر يمنعها من ترك سان انطونيو؛ ولم تكن لديها الجرأة ان تأخذ قرار بعدم الذهاب.

انها وقعت في حب الصحفي فقط. ولا احد يفهم هذا.

هذا النوع من الأحاسيس يجعلها تفقد الحياة.

في احد الأيام ريدر احب امرأة اخرى؛ لقد تحمل تلك لسلحفاة وقتاً طويلاً قبل بريانا. يبدو ان بريانا لم تحرك مشاعره كثيراً، وهذا افضل من لا شيء...

هذه الأفكار لن تحطمها. لقد قرأت وكتبت العديد من الروايات العاطفية التي تكهرب القلب. لكنها لم تتصور نفسها يوماً هكذا. انها تتكلم لكنها تعرف السبب...

تنهدت بريانا تنهيدة عناء. لقد اتت الى تكساس باندفاع كبير! اليوم تذهب خالية اليدين، كالبؤساء...

الممر يمتلىء بهدوء: عائلات، رجال اعمال، والبعض الآخر يرتدي ثياب الكاوبوي وعلى رؤوسهم قبعات كبيرة، وأحذية رفيعة من الأمام. كل هذه الناس سيذهبون الى بتسبورغ مثل بريانا.

جلست امرأة بقرب بريانا وابتسمت لها، لكن الروائية غيرت نظرها حتى لا ترى شيئاً. لم يكن لديها روح المرح؛ كان يجب عليها ان تكون محبوبة من قبل قرائها، ان تتظاهر بالفرح تجاههم. لكن الدينا كانت تضيق بها. اوه، يا الهي لو كان ريدر هنا! هل يمكنها ان ترتمي بين

ذراعيه.

لم تستطع الجلوس، وقفت. «اجلسي!» شيء في داخلها عنفها.

لقد كان غير طبيعي ان تفكر به. فجأة، الأحسن كان ان تجد شيئاً ما يشغل تفكيرها. ان لم يكن ذلك، خلال كل الرحلة، ستعد الكيلو مترات التي ستبعدها عن الرجل الذي أحبته في حياتها...

رمت بنظرة الى ساعة يدها، رأت انه هذا هو الوقت المناسب لتذهب الى مكتبة المطار. أغلقت محفظة يدها بقوة، واتجهت الى المكتبة.

هنا، شدها نظرها الى الأدب العاطفي الموجود في وسط المكتبة. رأت بفرح بأن افتتاحها الخاص كان موضوعاً في مكان جيد.

كل رواياتها كانت مصففة بانتظام، حتى كتابها الأخير: زهرة الرمال... استدارت بريانا، عيناها ممتلأتان بالدموع. انها لا تتحمل ان ترى غلاف هذا الكتاب. ان هذا يذكرها كثيراً بأول مرة شاهدت بها ريدر. اوه، يا الهي...

خبأت مشاعرها، وقعت في امتحان ومختلف عناوينه موضوعة. منذ وقت طويل لم تقرأ سلسلة من الروايات الذي أزعجها ان هذه السلسلة تنتمي الى الروايات العاطفية.

انها ليست بفكرة جيدة لشخص مولع القلب ان يغرق بهذا النوع من النصوص. انهم يصورون الأحداث بشكل جيد، لكن للأسف الأشياء تجري عكس ذلك، بريانا اخذت دروساً في هذا المضمار. تنهدت بكآبة، اختارت

احد الكتب السياسية، واتجهت لتدفع على الصندوق. اخفضت رأسها، لم تلاحظ سوى شخص اقترب منها. لقد سمعت صوته الضخم فقط الذي اعادها للوجود ثانية.

«يوم سعيد، سيدتي الجميلة... هل يمكن ان تتكرمي علي وتقدمي لي اوتوغرافاً، لو سمحت؟».

اندهشت بريانا، اضطربت، ايضاً... لكن... لا، انه ريدر! كانت بحاجة لقوة قوية لتمنعها من ظهور فرحها الذي لا يمكن وصفه.

بعض السكون فكرت بينها وبين نفسها. هل اتى ليستودعها فقط للمرة الأخيرة بدافع الاحترام. كان من الأفضل ان تكون صداحية له. احتفظت بكل اندفاعها، رفعت رأسها [illegible]، كان يجب عليها ان تكون اكثر فرحاً [illegible] حبته كثيراً. ولم تنزعه من مخيلتها حتى آخر نفس في صدرها. لا، لن تنسى ابداً ملامحه، انفه، عيناه الزرقاوين الغامقتين، رموشه السوداء، وابتسامته...

«يومك سعيد، ريدر... اي هواء رمى بك الى هنا؟».

كانت اول صدمة بالنسبة له عندما سمع هذه الكلمات.

«اذاً... هل استطيع ان اعطي موعداً لشخص ما، لكن هذا لن يكون حقيقياً».

بلعت ريقها بصعوبة.

«هل جئت الى هنا من أجلي؟».

الشيطان جريء، ممكن ان تكون اجابة ريدر قاتلة، لكنها تقبل ان تجري وراء الأخطار.

بفجاة فظيعة، حرك رأسه بهدوء.

«لماذا». تمتمت.

شعرت من جديد بأن نفسها يخونها. حب مجنون اشتعل في قلبها...

«لأنني لا استطيع ان افعل شيء آخر...». قال بقساوة.

بدأ قلب بريانا يطرق فرحاً... اضطرت ان تتنفس بهدوء. لم يكن الوقت مناسباً ليغمى عليها!.

«لماذا؟». اعادت من جديد.

انتظرت جامدة. لقد كانت بلهاء لأنها لم تطرح عليه غير هذا السؤال. لقد ارتكبت خطأ جامح.

غير ريدر نظره.

«اكتشفت انني لا استطيع ان اعيش بدونك». قال لها.

في هذه اللحظة، حان وقت التوجه الى الباب لأن الوقت قد حان لتقلع الطائرة، لكن بريانا لم تلقِ اي انتباه لهذا النداء.

«لماذا؟».

«لأنني احبك...». قالها لها ببعض العصبية.

«هل انت اكيد».

«أجل».

«انا لا اعتقد ذلك...».

«في هذه الحالة، اسرعي. طائرتك ستقلع».

«لا، لن اذهب».

«لماذا؟».

«لأنه يبدو الاصرار عليك».

«اذاً؟ هل لهذا اهمية بالنسبة لك؟».

«نوعاً ما!».

«لماذا؟».

«لأنني احبك ايضاً! وانت حقاً ابله... انا مغرمة بك منذ فترة طويلة!».

لم تستطع بريانا ان تتلفظ بهذه الكلمات الأخيرة؛ زبائن المكتبة نظروا اليها مصدومين، لكنها لم تهتم بهم. الكون تحول بنظرها الى جنة لها ولريدر فقط.

اما ريدر فقد اغمض عينيه ليرى بريانا بقلبه. وعندما فتح جفنه، شرارة زرقاء رقصت في عينيه.

«انك تملكين قوة غريبة لتقولي للناس بانك تحبينهم. لو لم اقلها لك لكنت ذهبت، اليس كذلك؟».

«ألست سعيداً؟». ابتسمت. واقتربت خطوة ووضعت يدها على زنده. لقد قالت له مراراً ان يغير رأيه ويذهب. لكن ريدر، لم يفكر ان يتركها. على العكس... جذب بريانا اليه ولامسها بحنان.

«انا مجنون بك يا عزيزتي...».

اقترب منها، قبلها بهدوء؛ كان يريد ان يحملها. وهي كانت تتجاوب مع قبلاته. لقد نسوا المطار، والكرة الأرضية بكاملها... بحظها، نادتها المكتبة. ركضت بقوة...

«انا مضطرة ان اقول لك بانك نسيتي ان تدفعي ثمن الكتاب حتى لو لم تقرأينه...».

اضطربت بريانا وحدقت بمخاطبتها بنظرات ذعر. كانت قلقة جداً من تلفظ هذه الكلمات.

«اي كتاب؟». قال ريدر ذو بحة.

«الكتاب الذي وقع من الآنسة، عندما رأتك...».

بريانا وريدر اسدلا رأسيهما ووجدا فعلاً الكتاب على الأرض، ونصف غلافه ممزق. احست بالخجل لأنه عندما

شعرت بوجود ريدر اضطربت مما جعلها ترمي الكتاب دون ان تشعر.

«لقد رميته بقوة». تابعت.

لكن هذه الأخيرة لم تنه كلامها.

«كنت اصلي للرب بأن تنتهوا من تبادل القبل... لأن الأبواب من زجاج مما يجعل كل شيء ظاهر للخارج...».

«بريانا نظرت اليها مذعورة. لأنها اتهمتها اولاً بالعاشقة الولهانة، تطير من الفرح، لكن، في الوقت الحاضر تستطيع ان تفرق نظرات الفرح في عيني هذه المرأة...

«الأحسن لكما...». تابعت هذه الأخيرة وهي توجه الحديث لريدر. «سمعت صديقتك تصرخ بأنها تحبك. لماذا لا تصطحبها الى المنزل؟».

ضحك الصحفي بصوت قوي.

«انا لا اعارضك». قال لها بفرح.

حمل بريانا بين ذراعيه ونظر اليها بحنان.

«ماذا تقولين؟». تمتم «هل تودين ان تأتي معي؟».

بريق فرح لمع في عيني المرأة الشابة.

«أجل...».

«اذاً، فلنذهب...».

ابتعد الاثنان، لكن مخاطبتهم نادتهم من جديد.

«والكتاب؟».

«اوه!». صرخ. «اعذرينا...».

أدخل ريدر يده في جيبه، ليبحث عن النقود. لكن صاحبة المكتبة منعته.

«لا، غير معقول... احتفظ بهذه الرواية كهدية اقدمها

لكم بمناسبة زفافكم. فأنا لا أبالي عندما ارى اثنين يحبان بعضهما بهذا الشكل...».

اقترب منها ريدر وطبع على خدها قبلة.

«شكراً...».

اقترب من بريانا واصطحبها لمغادرة المطار...

بعد وقت قليل، اقتربت بريانا من ريدر وانحنت فوقه، أسدل شعرها على كتفيه كنقاط ذهبية.

«لم افكر يوماً ما بأنني سأفرح بهذا الشكل».

«ولا انا ايضاً». اجابها ريدر.

«اوه، حقاً؟».

«أجل...».

«عادة... الم تقول هذه الكلمات لغيري من الفتيات...».

«لا، فأنا لم احب احداً».

«هل هناك فرق بين واحدة وأخرى؟». قالت له هذه الكلمات، وهي تداعب شعره.

تنهد تنهيدة فرح، اقترب منها وضمها بحنان الى صدره.

«أجل... ان هذا مختلف تماماً».

اغمضت بريانا عينيها. اقتنعت بريانا الآن بأن ريدر يحبها.

ان الحياة هي سلسلة احداث غير منتظرة، بعضها حزين والآخر مفرح. هذا الصباح بالذات كانت اتعس انسانة في الوجود: مضطرة للذهاب من هذه البلدة الى بلدتها بنسلفاني.

اخذت نفساً عميقاً وتمتمت.

«ريدر... احب ان اطرح عليك شيئاً ما...».

«ماذا؟».

«اريدك ان تكلمني عن زوجتك...».

شعرت بأنه انزعج وتوقف قلبها عن النبض! اوه، لقد كانت مجنونة تماماً! لماذا جعلها شيطانها تحاوره بالموضوع الذي كانت تهرب منه مراراً! للأسف، لم يكن باستطاعتها ان تمحيها من مخيلتها...

«تريدين معرفة ماذا؟». اجابها اخيراً.

«انا... لا شيء محدد. لكن... هل هي على قيد الحياة؟».

«اعتقد ذلك».

«ألست متأكداً؟».

«منذ وقت طويل لم افكر بها».

استطاعت بريانا ان ترسم على وجهها ابتسامة شاحبة محاولة ان تبرهن لريدر انه مجرد سؤال عادي.

«انظر... بعد ان نبتعد عن بعضنا بعض الكيلو مترات...».

جذبها اليه باضطراب وطبع على وجهها قبلات حارة.

«يا الهي... اعذريني، انا لا...».

داعبت شعره بلطافة، لتجعله يهدأ.

«هذا ليس فظيع...». تمتمت.

جلس الاثنين ساكتين، غارقين في تفكيرهم. تنهد ريدر بعد مضي وقت طويل:

«معك حق...».

اضطربت بريانا بعض الشيء، لكنها قررت ان تطرح عليه سؤال منذ اسبوع وهي تفكر به.

www.elromancia.com

«انت... الا تزال تحب زوجتك؟».

مسكها من عنقها بحنان ليجبرها ان تحدق النظر به.

«هل يستطيع المرأ ان يحب عقربة؟ لا... فلا يربطني بها اي شعور».

«في هذه الحالة، لماذا تصر على عدم التكلم عنها».

قالت وهي محاولة ان ترمي كلماتها بين الخمود وعدم المعرفة.

«حاولي ان تتصوري... عندما نحلم بشخص يفقد صوابه، لا يمكن ان نتصور ان هذا الشخص يمكن التكلم عنه. وهذا ما حدث بيني وبين سوزان. تقابلنا في الجامعة في السنة الأولى.

سوزان كانت كعلكة: جميلة، متألقة، دائماً مستعدة للضحك وكانت محاطة بالطلبة، وكنت واحداً منهم، وفي النهاية اخترتها انا لنفسي...».

شعور غيرة فظيع سيطر على بريانا. في الوقت الحاضر لم تكن متأكدة من نفسها ان كانت تستطيع ان تسمعه...

«تزوجنا عند حصولي على الدبلوم. كنا سعيدين في بداية حياتنا الزوجية لكننا انفصلنا بعد عامين من زواجنا. وليس لدي اي خبر جديد عنها منذ ذلك الوقت».

«لكنك لم تنساها حتى الآن...».

«ان كنت تسمعين من هنا بأن هذه التجربة جعلتني اكون انساناً معقداً فأنا لن أنساها ابداً، لأنها جعلتني اقارن كل امرأة بها. وخفت من الوقوع مرة أخرى...».

«وماذا قلت عني؟». قالت وقلبها يطرق.

طبع قبلة على جبينها.

«كنت مختلفة».

«لماذا؟».

«كنت رقيقة جداً. في بعض الأحيان كنت افقد وجودي، وفي احيان اخرى لا استطيع ان امحيك من مخيلتي».

«وهذا كان مزعج بالنسبة لك؟».

«أجل! كنت احاول ان اقوى على نفسي لأجعلك بعيدة عني!».

«لقد شرحت لي ذلك».

«أجل، لكن هذا الموضوع لم يحزنني ابداً. على العكس لقد زودتني بالقوة. كنت احاول ان أهرب منك، لكن عندما نلتقي سوياً كنت احاول ان اضمك واقبلك».

ابتسامة رسمت على شفتي بريانا.

«لماذا؟ ماذا تريد غير ذلك؟».

«كل شيء...».

مجنونة بمداعبته.

«أحبك... بريانا... اكثر من العالم أجمع...».

حدقت به نظرها. وقبلته قبلة جنونية. هذا كل ما كان ينتظره ريدر.

بريانا تركت بنسلفاني منذ ستة أشهر. كادت ان تنسى علام يشبه شتاء الشمال. السواقي كانت مثلجة، والهواء يصفر في الشوارع، وعواصف الثلج.

كل هذا وهم يبدلوا ثيابهم ليناموا قال ريدر.

«كيف يستطيع المرء ان يتحمل هذا الطقس؟».

«نحن معتادون على ذلك. لو أردت العيش هنا، ستتأقلم ايضاً مثلهم».

«غير معقول! فأنا لا اريد ان اعيد هذه التجربة لأنني

www.elromancia.com

افضل ان يكبر اطفالنا في بلدي تكساس».

ابتسمت بريانا ولمست وجه زوجها بحنان.

«ان كنت تشعر بالبرد، فوالدي لن يمانع بأن يعطيك بيجامته».

«انت ترتدين ثياب والدتك، وهذا يكفي...».

أشار باصبعه الى قميص من القطن لونه زهري حيث كانت تضعه بريانا على جسدها.

«انها كبيرة، أليس كذلك؟».

جلسا وقتاً طويلاً مقابل بعضهما، وكانا يسمعان الهواء يصفر في شوارع سانت كلير.

«هل قلت لك كم احبك؟». تنهدت بريانا بخمود.

«لا، لم تقوليها منذ اكثر من دقيقة. وانا، متى قلتها لك آخر مرة؟».

«منذ ثلاثين ثانية...».

هذه الكلمات اصبحت بالنسبة اليهم شيء طبيعي، لأنهم لم يكفوا عن اعادتها...

تمغطت بريانا ثم قالت له.

«أهلي يحبونك كثيراً». لفتت نظره بفرح.

«هذا شعوري انا ايضاً...».

«وشقيقتي تعشق كتاباتك! منذ اول يوم لي في سان انطونيو، قالت لي بانها تود ان يكون لها شقيق في تكساس...».

«انها فتاة مزاج».

«لكنك متى ستوصي على الأحذية وثياب الكاوبوي؟».

«أجل... سآتي بها من محلات الألعاب».

«اي العاب؟».

«من محلات أهلك الذين يريدون ان يلعبوا معي لأنهم يعلموا بأنني سعيد، وهذا الذي جعلهم يحبونني منذ اول لقاء».

«كيف هذا؟».

«أجل... منذ البداية، فكرت بانك الفتاة الوحيدة المرحة التي قابلتها... والجميلة ايضاً...».

«حقاً؟». قالت له وحرارتها مرتفعة.

«أجل... وانت، كيف وجدتني؟».

«بصدق؟».

«أجل...». تمتم بنصف ابتسامة.

«افضل ان لا اجاوب على هذا السؤال».

«لماذا؟».

«لأتابى ادعاءاتك».

«اعدك ان ابقى عاقل...».

تنهدت بريانا واخذت بنفس عميق.

«منذ ان قابلتك في تلك المكتبة بدالاس، قررت ان تكون شيئاً ما في حياتي...».

ريدر ضحك بصوت عال مما جعل بريانا تضع يدها على فمه بهدوء...

«شت! هل تريد ايقاظ الجميع...».

«اعتقد انهم استيقظوا».

«ريدر!».

«نحن متزوجين، اذكرك».

«اوه، سيدي! لكن اهلي...».

«انهم يعلمون الحياة اكثر منك. لقد فعلوا ذلك قبلنا...».

www.elromancia.com

توقف للحظة، ثم رمقها بنظرة مداعبة ثم تابع.

«غير معقول! لقد تزوجت من امرأة تتظاهر الحشمة...».

«هذا غير صحيح!».

«بلى! انت تكتبين روايات عاطفية، اذاً انت استاذة ماهرة، في حين لديك خجل طفلة صغيرة...».

ركعت بريانا على السرير، «ريدر كانترل انظر الي».

قالت كلماتها بسرعة، «ريدر كانترل! وان قلت لك لا...».

«لقد تزوجت من امرأة تتظاهر الحشمة!». قالها بنغمة غنائية.

استطاع بقوله هذا ان يجبرها بأن تقترب منه. ولمعت في عينيها شرارة راقصة.

«انت انسان محتال استاذ كانترل...». تمتمت وهي ترمي بنفسها بين ذراعيه».

«لقد انذرتك...».

«أجل... لهذا السبب جعلتني اشعر بوجودك».

«هل احد غيري يستطيع ان يغر الباسلات؟».

«لا...».

«يبدو، ان الباسل الوحيد سيقتل بضربة أليس كذلك؟».

«اوه، هل تقرأ افكاري! فأنا اخبىء لك مفاجأة!».

«ماذا؟ تفكرين برواية تروين بها قصة ابليس مع فتاة صغيرة؟ لتبرهني بأنني الابليس وانت الطفلة. رغم هذا فأنا سأصرخ بأعلى صوتي وأقول أحبك...».